نظرية الشرف بين النظرية والتطبيق عند كوامي أنطوني أبياه

محمد شهاب أحمد الوهيب
شيخة يوسف بن جاسم

مدرس، قسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة الكويت

الملخص

يناقش الفيلسوف كوامي أنطوني أبياه في كتابه (ميثاق الشرف: كيف تحدث الثورات الأخلاقية)، الأسباب التي تقف وراء أي تقدم أخلاقي. وفي هذا الصدد، نجد إشارته لتصور من النادر العثور على نقاش فلسفي عميق حوله: الشرف. تقدم هذه الورقة فحصاً نقدياً لادعاءات أبياه المركزية حول الشرف، وذلك من خلال اهتمام خاص بالسؤال المتعلق بتطبيق هذه النظرية، كما تحاول الإشارة إلى غموض ملازم لفكرة الشرف لدى أبياه، من كونها محرضاً للفعل اللاأخلاقي من ناحية وأداة لردع هذه الأفعال من ناحية أخرى. تفحص هذه الورقة تصور الشرف من خلال علاقته بمفاهيم عدة، مثل: الهوية، والقانون، والواجب.

مقدمة

تُعد قضية ميثاق الشرف من القضايا الفلسفية التي حار فيها العقل طويلاً دون أن يجد حلاً جذرياً لمشكلاتها اللامتناهية، كان عاقبة هذا الفشل نبذ قضايا الشرف جانباً لاعتبارات عديدة، لعل أبرزها، أن هذه القضايا مما يتصل صلة مباشرة بفلسفة الأخلاق، وهذه بطبيعتها مجرد آراء نظرية غير واقعية، مثالية أكثر منها تطبيقية، ومن ثمَّ فالبحث فيها عبث لا طائل تحته، لذا كان الزهد في بحث مثل تلك القضايا.

ثمة عامل آخر أيضاً أدى إلى نبذ مثل تلك القضايا (قضايا الشرف) وهو عدم وجود معايير محددة للحكم على مدى موافقة سلوك ما أو عادة ما للشرف أو خروجها عن أطرها، وهذا يرجع إلى اختلاف الثقافات والبيئات واختلاف العادات والتقاليد باختلاف المجتمعات البشرية، فما نعده جلباً للشرف في بلد ما قد يكون موطناً للعار في بلد آخر مثل بعض البلدان الإفريقية في قضايا عرفية اجتماعية مثل عادات الزواج والطلاق، وغير ذلك من قضايا تختلف مقاييس الشرف فيها، وقد عبَّر عنها فيلسوف الدراسة كوامي أبياه أبلغ تعبير بدراسة مستفيضة لعادات بعض الشعوب عبر قصص موثقة ليبرهن على عدم وجود مقياس موحد للشرف تعترف به الإنسانية، بل إن تنوع معايير الشرف واختلاف مقاييسه أدى في النهاية إلى إهدار الشرف، ليصبح المعنى الأتم المعبر عن تلك القضية جملة مؤداة "الشرف في اللاشرف". وهذا يدل على أن الشرف – وإن كان البعض يعتبره من القيم الأخلاقية– هو ذو حقيقة شخصية، بعكس القيم الأخلاقية الأخرى كالعدالة أو الصدق التي من الممكن أن تتفق البشرية على مفهوم موضوعي لها.

وإن نقبت في هذه النظرية طولاً وعرضاً وعمقاً فإنك حتماً تصطدم بهذه الاعتبارات اللا إنسانية، منذ فجر التاريخ وفي عصرنا الحاضر، فمثلاً مازال العصر الحديث، عصر العلم والحضارة والمدنية ينظر إلى الجلاد على أنه رجل شريف ينقب عن شرفه، وينظر إلى الضحية حتى ولو كانت مظلومة على أنها مسلوبة الشرف، في حين أن تلك النظرة المغلوطة في حاجة إلى إعادة صياغة في ضمائر الناس ووجدانهم أولاً؛ لتتحول النظرة؛ بحيث يمكن صياغتها في قانون أخلاقي واضح.

وإذا شئنا الترسيخ لمثل هذا القانون فلننظر إلى واقعة الاعتداء على المواطنة الأزيدية العراقية (نادية مراد) وفرارها من تنظيم إرهابي الفكر والاعتقاد مثل تنظيم داعش، وإخبارها عن وقائع الاعتداء الجنسية الوحشية اللاآدمية من عساكر هذا التنظيم الهمجي ذي النزعة الحيوانية؛ ففي كل حرف تنطق به ترفع من شرفها وتسقط من شرف المعتدين، في حين أنه ما زال البعض يستهجن ما قالت ظناً ووهماً أنها تُعرض سمعتها لخزي الأبد، في حين أن من يستحق هذا الخزي وذاك العار هم أولئك الذين تجردوا من كل المشاعر الإنسانية ومارسوا الغرائز الحيوانية عن عمد.

هذه المغالطات هي مما تواجه نظرية الشرف، ومن ثمَّ ضرورة توافر صياغة جديدة لميثاق شرف جديد يشبه العقد الاجتماعي الجديد الذي يدعو إليه الفلاسفة عقب الثورات. أو حتى مناقشة فكرة الشرف من أساسها والنظر في ما إذا كانت البشرية بحاجة إلى هذا المفهوم، وإن رأينا ضرورته فما مفهوم الشرف الذي يجمعنا كبشر؟ وهو ما سيتم مناقشته لاحقاً في هذا البحث.

ثمة صعوبة أخرى تواجه البحث في قضايا الشرف، تتمثل في بحث الغالبية من أبناء الجنس البشري عن المال لا الشرف في أي مهنة من المهن، ودليل ذلك ما قاله أحد الأطباء الأمريكان عندما سُئل عن سبب ارتفاع تكلفة الخدمة الصحية في الولايات المتحدة الأمريكية فأجاب قائلاً: "إنه ثمة مجتمعات طبية صارت فيها قيم العمل الحر، من جد وكدح وابتكار في خدمة زيادة الأرباح، تسبق قيم النقابة التقليدية التي ينص عليها قسم أبقراط" [1].

من هنا يأتي هذا البحث محاولاً الإجابة عن عدة تساؤلات، تُعد البداية لوضع ميثاق شرف جديد بالفعل، لعل أبرزها:

1 - أيقتصر الشرف على بيئة معينة أو مجتمع معين أم أنه ذو صبغة عالمية ؟

2 - ما علاقة الشرف بالدماء؟

3 - هل من سبل للخلاص من الثأر والقتل باسم الشرف؟

4 - هل يمكن اعتبار الضعف، حتى وإن كان نتيجة لظلم وقع أو عوامل خارجة عن الإرادة، مصدراً للعار؟

5 - أيمكن اعتبار قضايا الشرف جديدة كل الجدة؟ أم أنها قديمة تُبعث من رقدتها؟

6 - كيف يمكن صياغة ميثاق شرف جديد؟

7 - ما التحديات التي تقف حجر عثرة في وجه هذا الميثاق الجديد؟ وهل من سبيل للتغلب عليها؟

8 - هل الشرف قيمة أخلاقية كالعدالة مثلاً؟

9 - ما قيمة مفهوم الشرف في واقعنا السياسي والاجتماعي المعاصر؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات كان لابد من التعريج على مفهوم الشرف؛ وارتباطه بالهوية من ناحية، وبالقانون من ناحية ثانية، وبالواجب من ناحية ثالثة، ثم الوقوف على نماذج إهدار الشرف ممثلة في الغلبة والمبارزة وعادة ربط الأقدام ثم قضية الرق ثم قضايا المرأة، ثم ضرورة الوقوف عند الرؤية المقترحة لصياغة ميثاق شرف جديد، ثم أخيراً نقد تلك الرؤية من مفهوم واقعي.

وقد استخدمنا في هذه الدراسة المنهج التحليلي؛ لأنه يتناسب مع طبيعة هذه الدراسة، مع اللجوء إلى المنهج المقارن كلما لزم الأمر.

أولاً - مفهوم الشرف

الشرف في اللغة بمعنى السمو والمكانة وعلو المقام، ويقال رجل شريف؛ أي ذو نسب وحسب، وفي الحضارة اليونانية والغربية يقال رجل شريف؛ أي نبيل المولد، أي المواطن عند أرسطو الذي يتمتع بحقوق المواطنة، وكريم الصفات عند سبينوزا [2].

أما في الاصطلاح فقد تعددت وتنوعت معاني الشرف بتنوع البيئات واختلاف الثقافات؛ فأحد المفاهيم السائدة حول الشرف هي أن "أي سيد نبيل يوجه إليه تحد يجد نفسه أمام بديل مروع" [3]. وقد يتوقف الشرف على البيئة والثقافة مثلما يؤكد كوامي أبياه؛ إذ قد يتزوج الرجل الجدير بالاحترام من امرأة ذات قدمين مربوطتين، ولا تتزوج امرأة ذات قدمين مربوطتين إلا من سيد نبيل، يقبل السيد التحدي في مبارزة من سيد آخر، ولكنه لا يقبل التحدي نفسه من رجل من الطبقات الدنيا أو من امرأة، وأي مخالفة لتلك

القوانين تستتبع إنزال عقوبة فقدان الشرف على المخالف التي بدورها تعني فقدان الحق في الاحترام [4].

حتى في طريقة رد الشرف أو ما يُعرف في الشريعة الإسلامية بالقصاص، فلابد من توافر الشرف في رد الشرف فيما يذهب آدم سميث: "بما أن الإهانة الصادرة كان هدفها تعريض الشخص المهان للفضيحة والسخرية، لابد أن يكون العقاب المناسب للشخص الذي صدرت عنه الإهانة هو تعريضه للسخرية نفسها، وذلك باستخدام المشهرة وهي (آلة خشبية للتعذيب)، وبتوقيع الحبس أو الغرامة عليه على نحو قهري وفقاً للظروف المحيطة بواقعة الإهانة " [5].

وفي نقد لاذع لتعدد مفاهيم الشرف وتنوعها يؤكد هوبز تضارب تلك المعاني، فيقول:

وفي جميع الأمكنة حيث عاش الناس قبائل كانت دائماً تجارتهم غزو وسرقة بعضهم بعضاً، وبدلاً من أن يُشهَّر بهذه التجارة أنها ضد الطبيعة الإنسانية، بالعكس كانوا كلما زادت غنائمهم زاد فخرهم، ولم يرع الناس أي قوانين في هذه الحالة سوى قوانين الفخر والشرف؛ أي أنهم لم يمنعوا أنفسهم من معاملة الآخرين بالقوة سوى فيما يتعلق بحياتهم وبأسباب تناسلهم، وكما تصرفت القبائل آنذاك تتصرف المدن والممالك اليوم، وهي ليست سوى قبائل مكبرة، متسترة بدعوى المحافظة على سلامتها ونراها تُضخم ممتلكاتها متذرعة بخوفها من هجوم جيرانها عليها أو من مساعدتهم للغزاة تعمل جاهدة على إضعاف أو إخضاع أولئك الجيران، ولا فرق عندها تحقيقاً لذلك إن هي استعملت القوة السافرة أو الفن المستور، وهذا من حقها، وإنما لتذكرها الأجيال الطالعة لذلك بفخر وعزة [6].

الشرف إذن كان دوماً مرتبطاً بثقافة معينة وزمن معين، فما يعد شرفاً في ثقافة ما قد يعتبر لا شرفاً بل ربما عاراً في ثقافة أخرى. كما أن مفهوم الشرف أحادي الجانب؛ بمعنى أن الشرف ينطبق على أحد طرفي العلاقة ولا بأس إن جردت الآخر من الشرف كما يحدث في نموذج الرق والاستعباد.

وهذا هو المفهوم المغلوط السائد قديماً عن الشرف، والذي لا يزال أثره سارياً في فكر

القرن الحادي والعشرين؛ مما كان مدعاة لثورة كوامي أبياه الأخلاقية باسم المبادئ وباسم الإنسانية، إذ يقول ناقداً للأوضاع المعاصرة ما نصه:

تحتجز الولايات المتحدة ما يقارب الواحد بالمائة من سكانها في زنزانات وتحكم على آلاف من سجنائها بسنوات من السجن الانفرادي. وتحظر المملكة العربية السعودية قيادة النساء للسيارات. وتعاقب دول عدة المثليين جنسياً بالسجن مدى الحياة أو بالإعدام. كما أن هناك عزلة مفروضة على مئات الملايين من الثدييات وعلى مليارات الطيور في المزارع الصناعية حيث تعيش فيها حياة بائسة وجيزة. كذلك هناك الفقر المدقع داخل العالم المتقدم وخارجه. في يوم من الأيام، لن يتوقف تفكير المرء عند مجرد الحكم على صحة واحدة من الممارسات القديمة أو فسادها في مقابل صحة ممارسة جديدة، بل سيتطرق إلى فكرة أنه ثمة ما كان يدعو للخجل في هذه الممارسات القديمة [7].

لكن أبياه كان هدفه من قضية الشرف ليس محاولة فهم أناس آخرين، أو أزمنة أخرى، أو أماكن أخرى فحسب، بل يسعى أيضاً إلى محاولة تسليط الضوء على الحياة المعاصرة. ويهدف أيضاً إلى شرح مفهوم الشرف حتى يتسنّى لنا إدراك أهميته المستمرة في حياة كل واحد منا. كما يهدف تحديداً إلى استغلال الدروس المستفادة من الماضي لمواجهة واحدة من أخطر المشكلات التي تطرحها قضية الشرف في العالم المعاصر؛ ألا وهي قتل النساء والفتيات باسم الشرف. وتراه ينتقل في الفصل الرابع إلى باكستان في محاولة لفهم واحد من جوانب الشرف القاتمة ومواجهتها. يسلّط الضوء على باكستان، وينوّه إلى أنها ليست المكان الوحيد على سطح الكرة الأرضية الذي ترتكب فيه جرائم قتل باسم الشرف [8].

ولنا هنا أن نناقش أبياه في مسعاه هذا، نعم قد يفعل المرء ما يخل بالشرف، وقد تفعل الدول كذلك، لكن معنى الشرف في النهاية يعني احترام قواعد معينة قد تكون عادات أو أعرافاً أو معتقدات دينية أو فكرية أو غيرها، فالكل في النهاية يبحث عن التوافق مع القانون العام سواء أكان اجتماعياً أم دينياً أم سياسياً أم غيرها .

وهذا يفسر اختلاف مدلول الشرف من بيئة إلى أخرى ومن زمان إلى آخر، بيد أن تعدد المدلولات لا يعني تعارضها، إلا إذا خالفت مدلولات الشرف المبادئ الإنسانية والقيم

الأخلاقية؛ ذلك أننا متى كنا نتحدث عن مبادئ أخلاقية وقيم إنسانية، فلا بد أن يكون الشرف متوافقاً معها؛ لأن الشرف لا يحمل معنى آخر في النهاية غير التوافق مع هذه المبادئ وتلك القيم .

أما ما يورده نقد أبياه من ممارسات قديمة تلطخ ثوب الشرف، فهي تلك الممارسات التي لا تتفق مع هذه المبادئ والقيم من قريب أو بعيد، وإنما تناسب فترات استبدادية قديمة هي الفترات البدائية، تلك الفترات البدائية التي نقدها من قبل هيجل.

ويمكن القول إن الشرف عند أبياه فكرة كوزموبوليتانيّة؛ لأننا حين نتخلّى عن النظرة العضويّة للقضايا من حولنا وخاصة قضية الثقافة والشرف،

فإنه يُمكننا أن نكوّن صورة أكثر كوزموبوليتانيّة؛ بحيث يصبح كلّ عنصر من عناصر الثقافة، بدءاً من الفلسفة، إلى المطبخ، إلى نمط حركة الجسد، عنصراً منفصلاً ومستقلّاً عن العناصر الأخرى؛ بإمكان المرء أن يمشي ويتحدّث مثل الأميركيين من أصول إفريقيّة، في حين أنّه يُفكّر مع كانط وماثيو أرنولد، أو مع مارتن لوثر كنغ ومايلز ديفيس. لا يوجد شيء اسمه جوهر للمسلمين يمنع سكان دار الإسلام من استجلاب أو التعاطي مع أيّ شيء من الحضارة الغربيّة، بما في ذلك المسيحيّة أو الديمقراطيّة. كما لا يوجد جوهر غربي يمنع صحيفة نيويوركر مثلاً من استجلاب أو التعاطي مع الإسلام [9].

وتتسم الشخصية الكوزموبوليتانية عند أبياه بأنها متعددة اللغات والثقافات تتقبل وتساعد وتتفاعل مع الآخرين، ودائماً لديها شعور أن وطنها بيئات مختلفة، فهو يدعو إلى أن يكون الإنسان أقل انغلاقاً، ويتعلم التسامح وتقبّل اختلافات الآخر، ويقدّر الاختلافات، ويعي أن هناك التزاماً تجاه الآخرين؛ أي التزاماً يتجاوز من يربطنا بهم رباط القربى أو الجيرة، والصداقة، أو رباط المواطنة المشتركة ؛ فالناس مختلفون ولا يتطابقون معنا، أو حتى يشبهوننا، وهذا الاختلاف ما هو إلا دروس نتعلمها من أجل العيش بسلاسة وسلام واحترام لوجود الآخر أياً كان، وهذا الالتزام تجاه الآخرين يمثل تحدياً في حياتنا لنتعلم الحياة معاً يداً بيد في وسط التنوع الثقافي [10].

فليس ثمة شك في الحاجة إلى ممارسات يقتضيها مفهوم عام للشرف يصدق في كل زمان ومكان، لا يكون معيارياً خاضعاً للعادات والتقاليد بقدر ما يكون عاماً، وهو ما يتطلب الوقوف على تلك العلاقة الجدلية بين الهوية والشرف، ثم بين الشرف والقانون، وكذا بين الشرف والواجب، للوقوف على أهم ملامح ميثاق الشرف، التي يمكن عرضها على النحو الآتي:

أ- الهوية والشرف: ليس المقصود بالهوية هنا المعنى التقليدي؛ حيث أصل الشي أو معناه، أو الشيء هو كما اصطلح في الفلسفة [11]، ولكن يقصد بالهوية المكانة الاجتماعية أو الخلفية البيئية والسياسية لكل شخص على حدة، حتى الأمثلة التي اعتمد أبياه على تفنيد ميثاق الشرف القديم من خلالها ارتكزت بطريقة أو بأخرى على اعتماد ميثاق الشرف على مبدأ الهوية بطريقة مباشرة، كما سنراها بعد قليل؛ إذ إن كل فكرة خضعت للشرف إنما أتت من خلفية اجتماعية معينة، اختلفت نفس تلك الفكرة في مجتمع آخر نتيجة لاختلاف العادات والتقاليد والثقافة السائدة ، ومن ثم أصبحت الهوية الاجتماعية صاحبة الرأي المطلق في إنزال العقاب أو المثوبة على شخص من ينتهك أو يحافظ على مبادئ الشرف، يقول كوامي أبياه:

> **فالهوية الاجتماعية لا تعمل على تحديد القوانين التي يجب أن يلتزم بها المرء فحسب، ولكنها تعمل كذلك على تحديد ملامح من يدخل المرء معهم في منافسة من أجل نيل الشرف؛ فميثاق الشرف في الواقع يُثيب من يستحقون التقدير بوجه خاص في جماعة اجتماعية ما، ويُثيب أيضاً من يقومون بأكثر من المطلوب منهم تقديمه؛ ومن ثم، فإن ميثاق الشرف يوفر الحافز لمن يرغب في أن يذهب "أبعد من حدود الواجب والمفروض"** [12].

وهذا النص يقودنا إلى أن أبياه يريد تأكيد أن الطبقة الاجتماعية تؤدي دوراً أساسياً هي الأخرى. ففي إنكلترا في القرن الثامن عشر، كانت مواثيق الشرف تُلزم الرجال أبناء الطبقات الراقية قبول التحدي في مبارزة إذا ما صدر عن سيّد نبيل. أما في الصين في القرن التاسع عشر، فكانت مواثيق الشرف الخاصة بها تُلزم النساء من بنات الطبقات الراقية ربط أقدامهن. وفي كلتا الحالتين، كان ما تنص عليه مواثيق الشرف من سلوكيات منوطاً

بالمكانة الاجتماعية والجنس؛ كما أن طريقة التعامل مع الطرف الآخر كانت متوقفة على هويته بدوره[13] .

بيد أن ما لم يقله أبياه بصورة واضحة، هو كيفية التغلب على تلك التأثيرات الاجتماعية بما تشمله من عادات وأعراف وغيرهما، أو على أقل تقدير التخفيف من وطأتها، والتمهيد لثورته الأخلاقية التي صدر بها كتابه، فمهمة الباحث ليست مجرد سرد حكايات هنا وهناك، يضرب من خلالها أمثلة على أنواع من الشرف التي لا تتوافق مع مبادئ الإنسانية، وإنما مهمته البحث عن الحلول الناجعة التي يكشف من خلالها عن طرق جديدة يسلكها الجنس البشري للحصول على معنى للشرف لا يختلف عليه اثنان في هذا العالم. وهذا ما تطرق إليه بعض الشيء في نهاية كتابه.

وإذا كان أبياه يجزم بأن منظومة الشرف من شأنها أن تضع المرء في موضع المُساءلة حتى إذا لم يقترف ذنباً أو لم يقترف أحد خطأً في حقه. ويؤكد أن الشرف ليس بالأمر الشخصي فحسب، وأن شرف المرء يرتبط ارتباطاً وثيقاً بجوانب من الهوية يستقي منها عضويته في فئة اجتماعية ما بطرق عديدة. كما يعتقد أن الهوية الجماعية ترسم ملامح الشرف الشخصي؛ لأن احترام شخص ما أو ازدراءه هو نتاج طريقة تفكير المرء بصفته عضواً ينتمي إلى فئات اجتماعية مختلفة. وعليه، فإن الهوية تستمد أهميتها من دورها في تحديد ما تفرضه مواثيق الشرف من متطلبات [14]. أقول إذا كان ذلك كذلك فإن أبياه يحاول أن يجعل من الشرف معياراً أخلاقياً نقيس به مدى حظ الفعل من الحسن والقبح، بل إنه بذلك يجعل منه إلزاماً أخلاقياً يلزم الفرد والمجموع إتيان الأفعال الحسنة وتجنب الأفعال القبيحة، فأضاف بذلك معياراً أخلاقياً جديدة وإلزاماً أخلاقياً جديداً يضاف إلى قائمة المعايير الأخلاقية والإلزامات الأخلاقية التي أدلى مفكرو كل عصر فيها بدلوهم.

فالشرف إذن يمثل معنى الواجب على المعنى الكانطي، على الرغم من الاختلافات الجوهرية بينهما، فالشرف قانون داخلي يشترك مع الواجب الكانطي من هذه الناحية، كما يشترك معه في ما يمثله الاثنان من احترام للذات وتقدير لها.

بيد أن أبياه أغفل وضع أمرين في هذه، هما: الجهل والاستبداد، وهما من مشكّلات

الحياة الاجتماعية ومكوناتها؛ فالجهل الذي كانت عليه تلك البلاد التي مثل لها أبياه بأمثلته عن المبارزة في بريطانيا وتقييد الأرجل في الصين وغيرها من البقاع التي استشهد بنماذج مزيفة من الشرف فيها، كان يطبعها أمران: الجهل والاستبداد. فالجهل الذي ظلت هذه البلاد ترزح فيه هو سبب انتشار هذه العادات والأعراف البالية التي لا تعترف بأي مبادئ وقيم إنسانية؛ فالجهل يجعل كل شيء مباحاً، فالقتل باسم المبارزة من أجل إمتاع الآخرين مباح باسم الجهل، وتقييد الأرجل مباح باسم العفة والجهل، وهكذا. غير أن هذا الجهل المجتمعي ما كان له أن تنتشر فيه هذه الأعراف والعادات ما لم يكن هناك غطاء سياسي يعضده ويقويه، ويجعله ماثلاً على الساحة، فقد تعاضد الجهل والاستبداد على ترسيخ هذه العادات اجتماعياً.

ومن ثم كان من اللازم على أبياه أن يبحث في الماورائيات؛ إذ لم ينظر – في رأيي – بعين الفيلسوف الذي يبحث في العلل البعيدة، وإنما نظر بعين المشاهد أو المؤرخ الذي يؤرخ للأحداث دون أن يفحصها ويجري عملية النقد عليها. ولو فعل ذلك لكشف عن العلل الحقيقية التي تكمن خلف هذه المشاهدات التاريخية.

وعلى الرغم من هذه المعيارية التي تثقلها علاقة الهوية بالشرف، فإنها تبقى ذات أثر كبير أيضاً، فمنها تنبع السلوكيات الخاصة بالشرف، ومنها يكون تحفيز الأفراد على انتهاج سلوكيات معينة وترك أخرى فيما يذهب كوامي أبياه:"للهوية أهمية بالنسبة للشرف من زاويتين مختلفتين، الأولى أن ميثاق الشرف يصوغ اختياراتك عن طريق تحديد ما ينبغي على شخص يتمتع بهويتك أن يقوم به، فهو يحدد مجموعة من ممارسات الشرف، والثانية أن الميثاق يتيح الفرصة أمامك لأن تُصبح جزءاً من الشرف المستمد من إنجازات الآخرين الذين يشاركونك الهوية" [15].

إذن، تظل العلاقة قائمة بين الشرف والهوية، لتظل الهوية ذات خلفية تأثيرية على ميثاق الشرف سلباً أو إيجاباً.

ب- الشرف والقانون والأخلاق: ترتبط هذه المعاني الثلاثة وتتداخل مضامينها بصورة أو بأخرى منذ فجر الفكر البشري، فأرسطو – على سبيل المثال – كان يعتقد أن أفضل حياة هي

الحياة التي تحقق فيها الازدهار الإنساني، وقد أطلق على دراسته لهذا الازدهار الإنساني اسم "مبادئ الأخلاق" [16].

ويرتبط علم الأخلاق عموماً بمعايير السلوك التي يتحدد بموجبها الإعجاب بموقف معين أو رفضه، احترامه أو إدانته، وربما تسري هذه المعايير على المجتمع بأسره؛ لتشكل ميثاقاً شرفياً، لتصبح فكرة الشرف أحد روافد علم الأخلاق [17].

وهذه هي الفكرة الرئيسة التي انطلق منها أبياه، غير أنه كان من اللازم عليه تأكيدها، فالشرف – في التحليل الأخير – هو القانون الجواني الباطني الذي يدفع دفعاً نحو الالتزام بالمبادئ الإنسانية والقيم الأخلاقية التي لا يختلف عليها اثنان، أما القانون البراني فلم يكن غير مجرد قانون أعمى في الحالات الثلاث التي ذكرها في بريطانيا والصين خاصة؛ ذلك أن هذا القانون الذي وضعته الملكية المستبدة هو الذي جعل من التمسك بهذه الحالات شرفاً، لكنه لم يكن أكثر من شرف من الناحية الظاهرية فحسب، أما من الناحية الجوانية فلم يكن غير العار.

وهذا يؤكد أن المسعى الذي سعى إليه كان من الأهمية بمكان، وكأنه يعني أن الشرف لا يمثل القانون إلا في جانبه الجواني؛ لأن هذا الجانب يمثل الإنسانية بكل معانيها وصفاتها الجليلة التي تدعو إلى الشرف، وليس شيئاً غيره، ومن هنا تكمن أهمية قضية الشرف كقضية أساسية في عصرنا، يجب دراستها في باب الأخلاق خاصة والفلسفة عامة، وربطها بالقانون الأخلاقي.

وهذا يفسر لنا دعوة أبياه نفسه للنظر إلى الشرف على أنه قضية مصيرية أغفلتها الفلسفة الأخلاقية الحديثة، ويطالب بمكانة خاصة للشرف في الأفكار حول ماهية الحياة الإنسانية الناجحة. ويعتقد أن إحدى طرق البدء في فهم أهمية الشرف بالنسبة إلى مبادئ الأخلاق هي إدراك الصلات التي تربط بين الشرف والاحترام. ويجد أن الاحترام واحترام الذات، كلاهما فضائل إنسانية بالغة ومساعدة على العيش الطيب [18].

ولما كانت علاقة الشرف بالاحترام علاقة قوية فإن أبياه يلفت انتباهنا لضرورة:

استيعاب أنه على الرغم من أن الشرف استحقاق للاحترام، وأن الخزي يأتي بفقدان هذا الحق، فإن أيّ شخص يتمتع بالاحترام يعنيه قبل كل شيء أن يكون أهلاً

لهذا الاحترام، قبل أن ينال هذا الاحترام. ويجد أن الشخص يشعر بالخزي عندما يقصّر في التزامه بمعايير ميثاق الشرف؛ وأنه يشعر بهذا الخزي أيضاً سواء عرف الناس بتقصيره هذا أم لا. وتراه يعرّف الخزي بأنه الشعور المناسب لسلوك منافٍ للشرف. ويجد أنه نتيجة لهذا الرابط بين الشرف والخزي، فإن إحدى طرق التعبير عمّن ليس أهلاً للشرف هي نعته بالوقاحة أو قلة الحياء [19] .

وعليه فربطه بين الشرف والاحترام هو أداة لتحقيق أمرين :

الأول: احترام الإنسان لذاته .

الثاني: احترام الإنسان للقيم الإنسانية والمبادئ الأخلاقية .

وهذا ما كان يريده بالفعل، فإذا احترم الإنسان ذاته، واحترم القيم الإنسانية التي يجمع عليها البشر، فقد حاز مرتبة الشرف بجدارة ؛ لأن احترامه لذاته يمنعه من ارتكاب ما يخالف هذا الاحترام ؛ حيث إن أي خطأ في ذلك سيجلب على نفسه عدم الاحترام من ذاته. الحال ذاته في احترامه للقيم ؛ فهي تمنعه من الوقوع فيما يخالف الشرف الأخلاقي .

والبحث عن الشرف هو أحد مباحث الفضيلة الإنسانية، فأخلاق الفضيلة على العكس من الأخلاق الغائية Teleological ethics في السلوك والنتائج المترتبة عليها مثل النفعية utilitarianism، وعلى الرغم من مشاركتها في عامل التمركز مع عالم الأخلاق أو الواجبات الأدبية لكانط، الذي يُستخرج فيه "الأمر القطعي" Categorical Imperative من مفهوم العقلانية نفسه ويكون رائقاً في تعريف الواجبات والالتزامات العامة والخاصة؛ ذلك أن أخلاق الفضيلة تبحث في الميول أو النزعات المختلفة للشخصية التي تعزز الحياة العملية أو تهدف إلى تحقيق اكتمالها [20].

كذلك يتدخل مفهوم القانون بمتطلباته مع مفهوم الشرف بإلزامياته، كما يوضح ذلك تنوع استخدام المرادفات لكلمة الشرف مع وحدة مقصدها، فمثلاً هي متضمنة في الأخلاقيات والفضائل والمعارف السلوكية الإنسانية، بل في السياسة أيضاً عند الحديث عن

أخلاقية السياسة في مفاهيم مثل العدالة والمساواة، من ذلك ما ذكره عند أبياه، وبالواجب عند كانط، إذ يقول:

العدالة بمفهومها العامي تعني عدم التعدي أو بالأحرى عدم معرفة المعتدي على حقوق الآخرين كما تحددها قوانين الدولة التي يعيش فيها الإنسان المواطن، فالإنسان الذي يريد أن يطبق العدالة بطريقة تخدم مصالحه على أحسن وجه يحترم القوانين الوضعية في حضور الناس، أما بمعزل عن من يمكن أن يشهد عليه فهو يلجأ إلى قوانين الطبيعة، أما السبب في ذلك فهو أن قواعد القوانين تعد مفيدة بينما قواعد الطبيعة لا مفر منها، والسبب أيضاً هو أن قواعد القوانين تخلقها الاتفاقات ولا تخلقها الطبيعة، أما قواعد الطبيعة فبالعكس تماماً، لذلك فإن الإنسان الذي يتعدى القوانين الدستورية حينما لا يراه أحد من واضعي هذه الاتفاقات إنما هو حر طليق لا يلحقه خجل ولا قصاص، أما عندما يلحظه هؤلاء فهو عُرضة للقصاص، وتعكس الحالة تماماً عندما يتعدى الإنسان حدود قوانين الطبيعة التي تخلق معنا، فالإنسان الذي يمطط هذه القوانين أكثر مما تحتمل يتأذى من هذا العمل بقطع النظر عما إذا كان يراقب أم لا، ذلك لأن الأذى الذي يستجلبه عمله هذا ليس نتيجة لآراء الناس بل لواقع الحال [21] .

فأنطيفون قصد بالقانون الإلزامي للنفس ما قصده أبياه من الواجب، الاثنان ينبعان من الداخل، من القناعات الذاتية لا الإرغامات الخارجية، من الحرية لا الجبرية، من الذات لا الخارج. أضف إلى هذا أن للقانون ثلاث مهام رئيسية يمكن صياغتها على النحو الآتي: "أن تعيش بشرف وأمانة، ألا تؤذي أحداً، وأن تعطي كل ذي حق حقه" [22]، وهذه المهام الثلاث تصب في إطار الشرف والبحث عن القيم الإنسانية خلف تلال المادة وهضابها المتشعبة .

وفي ملمح آخر نجد التأكيد، لا على مصداقية القانون الصادر من النفس فقط، ولكن على يقينه المطلق وأهميته الكبرى فيما يؤكد شيشرون "لا يُستغنى عن هذا القانون بقانون آخر، ولا يحق لقانون آخر أن يحقر هذا القانون، كما أن هذا القانون لا يمكن أن يناقض ولا

يحق لشعب ولا لمجالس الشيوخ أن يحررونا من سيطرة هذا القانون، ولكي نعرفه لا يحق لنا لا اللجوء إلى المفسرين ولا إلى المعلقين، إنه القانون الذي يفسر ذاته" [23].

يمكننا القول إذن إن ميثاق الشرف يمثل القانون الداخلي لكل شخص منا، قانون قائم على القناعة التامة بأنه الصواب، وأنه الحق، وأنه الواجب، وهذه المفاهيم الثلاثة هي التي تؤكد تلك الصلة بين الشرف والقانون والأخلاق؛ فالشرف ينبع من الداخل، والقانون الإلزامي الداخلي يقوم على القناعة الذاتية، والأخلاق داخلية، وتالياً فهما يخرجان من مشكاة واحدة ويصبان في ذات المصب.

جـ - الشرف والواجب: الصلة نفسها التي تربط بين الشرف والقانون والأخلاق، هي تلك التي تربط الشرف بما أسماه كانط بـ "الواجب"؛ حيث يرى كانط ضرورة فعل الشخص للصواب لمجرد أنه صواب لا لشيء آخر، وهو ما عُرف بمبدأ الواجب ويشترك مع الشرف في أن مبعثه داخلياً يقوم على أسس من القناعات الشخصية، كما تتوقف على إرادة فعل الخير، أو ما يُسمى في الشريعة الإسلامية بالنية؛ حيث يذهب كانط إلى أننا نعد مواهب الطبيعة كالذكاء وأصالة الحكم وقوة الإرادة والشجاعة وما إلى ذلك، أو نعم الحظ كالمال والجاه والشرف والسلطة، وما إلى ذلك بمثابة خيرات متعددة، نرغب في الحصول عليها والتمتع بها، ولكن كل هذه المواهب والنعم لا يمكن أن تكون بمثابة "خيرات في ذاتها"؛ لأنها قد تستخدم لفعل الخير أو لفعل الشر، فهي جميعاً لا تصبح "خيرة" إلا بالنسبة إلى ذلك "المقصد" الذي ترجوه إرادتنا من وراء استخدامها، ويضرب "كانط" مثلاً لذلك بفضيلة السيطرة على النفس أو رباطة الجأش، فيقول إن هذه الفضيلة ليست "خيراً في ذاتها"؛ لأنها لو توافرت لدى المجرم لجعلت منه مجرماً خطيراً ولأظهرته في عيوننا بصورة المخلوق الكريه الذي تنفر منه ونقسو في الحكم عليه، وأما "الإرادة الخيرة" فهي الشيء الوحيد الذي يمكن أن يُعد "خيراً في ذاته"؛ لأنها لا تستمد خيريتها من المقاصد التي تحققها أو الغايات التي تعمل من أجلها من باطن ذاتها باعتبارها الشرط الضروري والكافي لكل "أخلاقية"، على حين أنه إذا انعدمت الإرادة الطيبة من أي عمل أخلاقي فإنه يصبح عندئذ عديم الصفة الأخلاقية [24]، وهذه الإرادة الداخلية تُعد إلزاماً لكل منا، يقول كانط: " يجب ألا ننظر إلى أفعالنا على أنها إجبارية ملزمة لنا؛ لأنها أوامر إلهية، ولكننا نعتبرها أوامر إلهية؛ لأننا ملزمون بها إلزاماً داخلياً جوانياً" [25].

وفي ملمح آخر نجد تأكيد كانط أن الواجب الأخلاقي يقره العقل، تماماً مثلما يقر العقل عند أبياه قضية الشرف؛ إذ يقول كانط: "إذا أنكر العقل إلزام الواجب الأخلاقي فإنه يقرر عندئذ نهاية وجوده هو ذاته، بل لا يكون الإنسان إنساناً إلا إذا التزم الواجب الأخلاقي وإن خالفه صار متوحشاً وانتهى العقل إلى اللاشيء" (26).

لكن الجديد في مذهب الواجب عند كانط أنه يبعثه من خلفية دينية، فالواجب هو أمر واجب الطاعة، ويتجلى ذلك من خلال تعريفه للدين من وجهة نظر أخلاقية بحتة؛ إذ يقول: "الدين هو معرفة وإدراك كل الواجبات كما لو كانت أوامر إلهية" (27).

ويؤكد (إميل بوترو) تلك القراءة لنظرية الواجب فيقول: "الأخلاق في جوهرها عند كانط هي خضوع الفرد للكلي والاعتقاد أن الطاعة للكلي هي الحرية والقوة العليا" (28)؛ بما يعني أننا نتحدث عن مطلق لا محدود، وهو ما أوحى الفهم نفسه إلى جاك دريدا؛ حيث قارن بين الدين التعبدي والدين الأخلاقي عند كانط، الذي هو مبعث الواجب إلزامياً، فيقول: "يحصي الدين التعبدي الأفضال والنعم الإلهية، غير أنه في العمق وفيما يتصل بما هو جوهري لا يحض على العمل ويكتفي بتعليم الصلاة والرهبة، ليس على الإنسان هنا أن يصبح فاضلاً وكاملاً، ولو حتى عبر مغفري الذنوب، أما الدين الأخلاقي فهو يعنى بتهذيب السلوك وحسن التصرف في الحياة؛ حيث نجده يأمر بالعمل ويلحق به المعرفة بعد فصلها عنه، فضلاً عن حثه الإنسان على تكميل نفسه والرقي بها في مراتب الأخلاق (29).

يمكننا القول إذن إن الشرف والقانون والأخلاق والواجب ذات صلة بعضها ببعض وإن لم يُشر إليها كوامي أبياه صراحة، إلا أنها كانت ضمنية في نظريته، وقد تتجلى تلك الصلة أكثر إذا نظرنا إلى نماذج إهدار الشرف التي ثار لأجلها، والتي طالب بسببها إعادة صياغة لنظرية الشرف، أو الوصول إلى ميثاق شرف جديد.

ثانياً- نماذج إهدار الشرف

لأن الشرف ذو خلفية اجتماعية مرتبطة بالهوية من ناحية، وبالقانون والواجب من ناحية أخرى، فإن كوامي أبياه قد أقام نظريته الجديدة على أنقاض أربعة نماذج مؤثرة مثّل الشرف، فيها أغلوطة انتصرت عليها في نهاية المطاف الميثاق الجديد عبر فلسفة التاريخ في

جدلية فلسفية يقدمها أبياه ليثبت للعقل البشري أن قوانين الشرف القديمة، أو بمعنى أدق، القوانين المغلوطة للشرف في سبيلها إلى الانتشار تدريجياً فقط إذا اقتنعت العقول وتبدلت الأفهام وترسخ في الأذهان ضرورة صياغة ميثاق شرف جديد.

ومن ثم فقد درس أبياه قضية الشرف من حيث خمسة محاور هي على النحو الآتي: اندثار المبارزة، تحرير الأقدام الصينية، القضاء على الاسترقاق على جانبي الأطلسي، حروب على المرأة، دروس وموروثات. وأخذ ينتقل بنا من إنجلترا إلى الصين، ثم إلى جانبي الأطلسي، وهو يبحث عن معاني الشرف في ثلاثة من البلدان التي عبرت عن رفضها لمعاني الشرف على المعاني القديمة لتقوم بثورة أخلاقية يكشف من خلالها عن المعنى الحقيقي لمصطلح الشرف .

إن أبياه لم يستقر على مفهوم الأخلاق وحده في مخططه عن الشرف، "ولكنه حاول أن يناقش الثورات الأخلاقية من حيث مجموعة من المظاهر التي عرفتها مجتمعات معينة في العالم، ربط الكاتب الأخلاق بمفهوم أكثر عمقاً وتعقيداً، وهو مفهوم الشرف الذي طالما ارتبطت به الأخلاق عبر التاريخ، حاول الإحاطة بثورات أخلاقية حررت أفراداً ومجموعات عبر العالم من الذل الذي كانت تعيشه من قبل، وأشار الى تجارب مازالت معيشة إلى حد الآن معتبراً مفهوم الشرف هو الأساس لتحقيق الازدهار الأخلاقي عند الإنسان"[30].

1 - **شرف المبارزة**: في أسلوب أدبي يذكرنا بروسو قديماً وعبد الغفار مكاوي حديثاً يقص علينا أبياه طرفاً من تاريخ المبارزة في إنجلترا وكيف كانت ملاذاً للسادة والنبلاء إلى أن بدأت ثورة فكرية تغير من النظرة إلى المبارزة من كونها شرفاً إلى كونها عاراً، وذلك عبر تعريف السيد النبيل بأنه "شخص لا يتسبب في ألم لأحد أبداً"، وهو ما يتنافى مع المبارزة أو أي خلق شائن [31]. لتتحول النظرة إلى السيد النبيل من أنه الشخص القوي الذي لا يُهزم، إلى الشخص المسالم الذي لا يسبب ألماً لأحد، إلى أن تطورت تلك النظرة في مرحلة لاحقة على ألسنة النبلاء أنفسهم؛ حيث حطوا من شأن المبارزة باعتبارها صراعاً بين العبيد لا بين السادة، وقد صاغها أبياه في صورة رمزية بليغة على لسان ريتشارد كوبرن عضو البرلمان الإنجليزي؛ حين قال لناخبيه مزدرياً المبارزة "أتذكر كيف أن مجموعة من معاوني تجار الأقمشة الكتانية عقدوا العزم في صباح يوم أحد على أن يبدؤوا عقد مبارزات فيما بينهم، وما إن بدأ معاونو التجار في المبارزة حتى فقدت بريقها في أعين أبناء الطبقات العليا، واليوم ما من شيء أكثر

سخافة من أن يفكر أي نبيل من النبلاء أو سيد من السادة في الرد على إهانة ما عن طريق التقاتل في مبارزة" [32] .

إذن، تغير المفهوم نفسه هو المقصود الأول عند محاولة تغيير الاعتقادات، لابد من إعادة صياغة للمفهوم نفسه، وهو ما حاول أبياه فعله في نقده للمبارزة وتفريقه بين شرف المبارزة بين السادة التي أصبحت بمرور الوقت عاراً عليهم لا شرفاً لهم، وشرف الجندية والدفاع عن الوطن؛ إذ يتولد الشرف من الإخلاص للوطن مثلما قال ملك إنجلترا هنري الثاني في معركة أجينكورت موجهاً الحديث لجنوده: "نحن قلة سعيدة، نحن عصبة متآخية. فلعمري إن من يسفك دمه اليوم معي فهو أخي. ومهما كان وضيع النسب، فإنّ هذا اليوم سيرفعه إلى مقام السادة " [33].

ومثل هذا الشرف نجده في الأساطير اليونانية القديمة عند هزيود وهوميروس وما قصده من بطولة هكتور وأخيل وأجامنون وغيرهم من أبطال تلك الروايات الأدبية التي تمجد الدفاع عن الوطن وتعتبره شرفاً [34].

2 – **شرف ربط الأقدام**: كان الصينيون قد اعتادوا ربط أقدام بناتهن وينظرون إلى تلك العادة بمنظور الشرف في الأصل حيث تتعلق بضمان المكانة الاجتماعية للنساء مربوطات الأقدام من ناحية، وضمان عفة نساء الطبقة الرفيعة من ناحية أخرى، وهي ممارسة استمرت منذ فجر الحضارة الصينية حتى أوائل القرن العشرين.

وبالنهج التصاعدي نفسه يسير أبياه مع تلك القضية مبرزاً جدلية التاريخ وقدرتها مع الوقت على تغيير مفهوم الشرف ذاته في تلك القضية؛ إذ يدرك المفكرون والعقلاء انحدار المستوى الإنساني لحضارتهم إذا استمروا في تلك العادية "إذ لا يوجد ما يجعلنا محط سخرية أكثر من عادة ربط الأقدام" [35]، وإذ تكون الحضارة الصينية مهددة بسبب تلك العادة، فما الحل إذن؟ كوامي أبياه لا يسأل وينتظر الإجابة من أحد، ولكنه يريد أن يقنع قارئيه بأن سبيل الاقتناع بتغيير مفاهيم الشرف وتغيير النظرة إليه هو خير سبيل للقضاء على أي عادة سيئة تخرج تحت مسمى الشرف، هذا التغيير في المفهوم يقود إلى تغيير في المعطيات الفكرية كلها، وتالياً النجاح في توجيه النظرة نحو ميثاق الشرف الجديد، وهو الأسلوب المتبع في النماذج الأربعة التي قص طرفاً منها، وهو الأمر ذاته المتبع في قضية أسماها "تحرير الأقدام الصينية" إذا

استجابت الصفوة والنخبة والحكام لطلبات ونداءات العقلاء والمفكرين بضرورة الإقلاع عن تلك العادة التي تسيء إلى الصينين، وبحلول عام 1919م لم يعد هناك امرأة تربط قدميها داخل الإمبراطورية الصينية مترامية الأطراف؛ إذ لجأ الباحثون في تلك القضية إلى حيلة ذكية، فكانت عبقرية الإستراتيجية التي انتهجتها الجمعيات المناهضة لربط الأقدام تكمن في تناولها لهذه المعضلة على وجه التحديد، فقد أوجدت نساءً غير مربوطات الأقدام غير متزوجات ورجالاً مستعدين للزواج منهن في الوقت ذاته، وقد تمكنت هذه الاتفاقية المزدوجة التي تقدمت بها الجمعيات المناهضة لربط الأقدام، والتي تقضي بالامتناع عن ربط أقدام البنات وعن تزويج الأبناء لفتيات مربوطة أقدامهن من تحقيق المراد منها بالضبط. وبتسليط الضوء على التباين فيما بين الصين وأماكن أخرى تمكنت كذلك من توضيح إمكانية خلق مجتمعات مثل اليابان ولكنها في الوقت ذاته مثل الإرساليات التبشيرية المسيحية تكون فيها المرأة مخلصة وفية ولو أنها غير مربوطة القدمين [36]، وبذا أفلح تغيير الفكر تغييراً في المفهوم ذاته ليتحول ربط الأقدام من قضية الشرف، إلى مثار للخزي في أعين العامة والخاصة على حد سواء.

3 – **الشرف في الاسترقاق**: شغلت قضية الرق الفكر الإنساني على مدار تاريخه الطويل تأييداً واعتراضاً؛ فالبعض كان يربط بين الشرف والنبل؛ أي نبل المولد، أو باصطلاح أفلاطون السيد، وباصطلاح أرسطو المواطن، وتالياً حق السادة في التحكم في الآخرين وتسميتهم "عبيداً" أو حق الأبيض في التحكم في الأسود واتخاذه سخرياً، لتضع تلك القضية الفكر الإنساني في مأزق، أو إن شئت الدقة على تساؤل جوهري مؤداه: هل لنبل المولد فضل في قضية الشرف؟ وهل من حق الأبيض السيادة على الأسود مهما أدت تلك السيادة وذاك الخضوع من إهدار لكرامة نوع ومحو وجوده لصالح نوع آخر من الجنس نفسه؛ لاختلاف في لون البشرة فقط ؟

لا تزال الذاكرة تحفظ لأفلاطون تشريعاته ضد العبيد وتجريده لهم من آدميتهم ومحو شخصيتهم الاعتبارية عبر تشريعات هي الأقسى والأشد عنجهية عبر تاريخ الفكر البشري إذ يقول: "ينبغي أن نعاقب عبيدنا عندما يستحقون العقاب بدلاً من أن نفسدهم بمثل هذه التحذيرات المجردة التي ينبغي أن نستخدمها مع أحرار الرجال، ولا ينبغي أن يكون هناك مزاح ألفة مع الخدمة من الجنسين" [37].

وعن القصاص يسلب أفلاطون العبيد كل آدمية ممكنة وكل حق يكفله العقل والعُرف والفطرة؛ إذ يقول: "فإذا كان القتيل عبداً فسيُعتبر الأمر تماماً كما لو كان أحدهم قضى على أحد عبيده ويُعوض مالك الميت عن خسارته، وإذا كان القتيل عبده الخاص فسيصبح بريئاً بإجراء عمليات التطهير التي يحتاجها القانون" (38) .

وعلى خطا أفلاطون سار أرسطو، وعلى خطا الاثنين سار موكب كبير من أبناء الجنس البشري تدفعهم العنصرية والنرجسية، وعلى ضفاف الجانب الآخر يقف أنطيفون والرواقيون وروسو وكانط وكوكبة من أبناء الجنس البشري، الذين سمت نفوسهم وخاطبوا العقل باعتبار المساواة المطلقة بين أبناء جميع الجنس البشري.

لقد بدأت مناهضة الرق في أواخر القرن الثامن عشر بدوافع دينية؛ حيث الاعتقاد بالمساواة التامة أمام الله – سبحانه – في الحقوق والواجبات، والمساواة كذلك في تلقي نوره الإلهي.

ومن ثمّ فقد بدأت مناهضة الرق بتوجيه النقد إليه عبر ألسنة الشعراء وكتابات المفكرين؛ فقد كتب (ستيرن) مفصلاً لمعاناة الرق في أسر الاستعباد والجبرية "عندما نظرت إلى أعلى...رأيت طائر زرزور معلقاً في قفص صغير، قال الطائر: "لا أستطيع الخروج... لا أستطيع الخروج" قلت له: أخشى أيها المسكين أنني لا أستطيع أن أطلق سراحك. قال الطائر: "لا... لا أستطيع الخروج .. لا أستطيع الخروج". يعود كوامي أبياه ليعلق على ذلك بالقول:" أقسم أن عاطفتي لم توقظ برقة أكثر من هذا من قبل، كما لا أذكر واقعة في حياتي مثلها جعلت مزاجي المهلهل الذي كان عقلي فزاعة له يعود إلى طبيعته ... وأقول لك فلتنكر كما تشاء أيها "الاسترقاق" إلا أنك ستظل كأساً مريراً. وعلى الرغم من أن الآلاف على مر العصور قد أجبروا على تجرعك فإنك تظل مريراً ولا تكاد تُستساغ" (39).

وفي الاتجاه النقدي نفسه كتب إيراسموسي داروين في كتابه "حب النباتات" ما يفيد بعمق مشاعره الإنسانية حيث يقول: "وحتى الآن في بساتين إفريقيا وبصرخة بشعة... يتفشى الرق الرهيب، وتُفك كلاب الجحيم من عقالها... أنصت أيها السيناتور! أنصت إلى هذه الحقيقة السامية (إن من يسمح بالقمع، شريك في الجرم)" (40).

ثم تحول الدفاع في تلك القضية، من ساحة الشعر والأدب إلى ساحة الفكر تغييراً للمفاهيم الخاصة بالشرف في تلك القضية كما دأب أبياه ليعيد المفكرون صياغة المفاهيم المتعلقة بالشرف، فالسيد النبيل بدلاً من تعريفه بأنه "الشخص الذي يتوافر له العبيد ويخضع له الجميع"، أصبح هو الشخص الذي "يتمتع بحسن التقدير للمواقف أكثر من سواه؛ بحيث لا يشعر بالإهانة عند الإساءة إليه، فهو مشغول لدرجة لا تسمح له بتذكر الإهانة ومتسامح لدرجة لا تسمح له أن يحمل ضغينة"[41].

وبتغيير هذا المفهوم تغيرت النظرة إلى الشرف في قضية الرق وأصبحت نظرة أكثر إنسانية قال عنها وليام ليكي: "من الممكن اعتبار الحملة الجهادية لإنجلترا ضد الاسترقاق التي لم تعرف كللاً أو زهواً أو تمجيداً، على الأرجح ضمن ثلاث أو أربع صفحات فاضلة تماماً في تاريخ الأمم" [42].

وبهذا المنهج الديالكيتكي أيضاً تقلصت النظرة إلى الرق وإن لم يتم القضاء عليها تماماً كما حدث في المبارزة وفي تحرير الأقدام الصينية، إلا أن تغيير مفهوم الشرف الاعتقادي الخاص بتلك القضية يُعد ثورة أخلاقية كبرى تكمن فيها بدايات تغيير المنهج الفكري للقضاء على العبودية بكل صورها تماماً.

4 – **شرف المرأة**: وهي قضية محورية مهمة في نظرية الشرف قديماً وحديثاً، بل إن قضايا المرأة تمثل أهم وأخطر قضايا الشرف حدة وأهمية، كما أن القيمة المغلوطة للشرف تتضح أبرز ما يكون في قضايا المرأة؛ إذ تصبح المرأة ضحية بلا جُرم ارتكبته، تصبح ضحية لبهيمية الذكر، وتصبح مسلوبة الشرف في ذنب لم تفعله، وفي حين يقف لها المجتمع بالمرصاد لأقل هفوة تصدر عنها، يغُض الطرف عن جرائم الذكور مهما بلغت حد الجريمة أو تعدت حدود الشرف.

إذن، يصبح من المحتم على أبناء الجنس البشري صناعة ميثاق شرف جديد في كل ما يتعلق بالمرأة، تلك التي فقدت حريتها وكرامتها منذ جعلها أفلاطون متاعاً مشاعاً لأفراد طبقة الحراس، ومنذ أن فقدت كرامتها وشرفها في العصور الخوالي، يقول فينلي: "كان يُحرم على المرأة حق الحياة النبيلة والاحتفال بالشجاعة، والاشتراك في ألعاب

المنافسات وقيادة الأنشطة من أي نوع، هكذا كانت النساء بغض النظرعن الطبقة التي ينتمين إليها"[43].

حتى على المستوى الفلسفي فقد اعتاد الفلاسفة الحديث عن المجتمع الذكوري فقط "إننا نعرف أن الطبيعة البشرية، كما اكتشفها ووصفها فلاسفة مثل أرسطو وتوما الإكويني ومكيافيللي ولوك وروسو وهيجل وكثير غيرهم، تميل إلى الإشارة إلى الطبيعة البشرية الذكورية فقط، ومن ثم فجميع الحقوق والحاجات التي اعتبرت بشرية لم تدرك على أنه يمكن تطبيقها على النصف الأنثوي من الجنس البشري، ومن ثم ّ فقد كان هناك – ولا يزال – داخل تراث الفلسفة السياسية والثقافة السياسية ميل متغلغل في هذا التراث لجعل العبارات العامة المزعومة، كما لو كانت تعني أن الجنس البشري لا ينقسم إلى جنسين، ولذلك فهي إما أن تتجاهل جنس الأنثى تماماً أو أن تسير في المناقشة من منظور لا يتفق بتاتاً مع التأكيدات التي قيلت من الإنسان والإنسانية " [44].

واستمرار انتهاك حقوق المرأة على جميع المستويات بهذه الطريقة نذير خطر؛ خاصة أن الاعتداء على المرأة يتم تحت مسمى الشرف؛ ففي تقرير الأمم المتحدة الصادر عام 2000، يذكر أن نحو 5000 خمسة آلاف امرأة وفتاة تقتل سنوياً على يد أقربائها بسبب التعرض للاغتصاب أو للزنى، ويطلق على هذه الجرائم اسم " جرائم الشرف".

حتى البلدان العربية والإسلامية التي تمتعت بنور القرآن والسنة المطهرة مازالت تمتهن المرأة اجتماعياً بنظرتها المعوجة إلى المرأة التي تُغتصب أو تلك التي تضطر إلى الزنى لقسوة الحياة ومواجهة أعبائها. هنا يكمن السؤال: على من تقع جريمة سلب الشرف؟ على المرأة التي اغتُصبت أو زنت لتعيش أم على أولئك الذين اغتصبوا أو زنوا ودفعوا وهم يعلمون فاقة تلك المرأة وحاجتها؟ أم على المجتمع الذي رأى واقعة الاغتصاب ولم يغضب، وعلم بأن إحدى نسائه تزني لدفع الفاقة ولم يغنها من ماله؟ إنها مغالطات كبرى في حق المرأة، جرائم كبرى تقاد ضدها باسم الشرف، يقول أبياه ما نصه: "ولا تزال تُقتل النساء أو تُشوه بالأحماض في العالم العربي، بداية من مصر ووصولاً إلى المملكة العربية السعودية، ومن الأردن والأراضي الفلسطينية وحتى العراق، وكل ذلك باسم الشرف. ولا تخلو إيران من التهديدات نفسها، فكلها مجتمعات مسلمة تُجرّم القتل وإن كان القانون فيها متساهلاً للغاية في التعامل مع الجرائم التي يبررها الشرف" [45].

قضية الشرف المرتبط بالمرأة هو في الحقيقة حالة خاصة؛ كونه يتعلق بشرف العائلة التي تنتمي إليها بل بشرف قبيلتها. وهذه قضية معقدة؛ لأنها تحمل المرأة مسؤولية شرف الجماعة، وبذلك يتم حرمانها من حريتها الفردية؛ إذ إن أي عمل تقوم به يعرض القبيلة أو العشيرة بأكملها لفقدان الشرف بحسب مقاييسهم. وذلك بالتأكيد ما يعرضها في الغالب للقتل أوالتشويه. وهذا ما تنقله لنا وسائل الإعلام يومياً من بعض الدول كأفغانستان و إيران وباكستان والأردن. والجدير بالذكر أن القضايا المتعلقة بالشرف بالنسبة للمرأة ليس لها علاقة بالقيم الأخلاقية كالصدق أو العدالة أوغيرها بل هي مرتبطة مباشرة بجسد المرأة وما تفعل به: فكون المرأة كاذبة أو تغش بالتجارة لا يجلب العار للقبيلة لكن كونها أقامت علاقة جنسية مع أحدهم حتى لو كان ذلك عن تراض وتوافق فإن فعلها هذا جالب للعار عليها و على أسرتها و قبيلتها، في حين أن جسد الرجل لا ينطبق عليه هذا المعيار.

ويلمح كوامي أبياه إلا أن الجرائم التي تنتهك في بلاد الإسلام باسم الشرف، الإسلام والشرف منها براء؛ ذلك أن الدين الإسلامي دين العقلانية ودين الرحمة "ففي تناولنا لجرائم الشرف، لا حاجة لنا إلى أن نجادل ضد الإسلام التقليدي، ولكن ثمة قضايا أخرى يصعب التعامل معها دون التطرّق إلى مثل هذا المنحى. فأحد تأويلات اشتراط الرسول – صلى الله عليه وسلم –أن يكون دليل إثبات واقعة (الزنى) شهادة أربعة رجال (أو اعتراف أحد مرتكبي الواقعة) هو رفع معيار دليل الإثبات لدرجة تجعل من النادر توافره. وفي اعتقادي أن الفرضية التي تقول أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – قد وضع مثل هذه المعايير الصعبة في محاولة منه للتخفيف من قسوة العقوبات الموجودة في مواثيق الشرف الأولى للعرب فيما يتعلق بالجنس لهي فرضية معقولة جداً. فقبل كل شيء، تبدأ جميع سور القرآن ما عدا واحدة بوصف الله بصفته الرحمن الرحيم" (46).

مراجعات عدة تتعلق بالشرف أصبحت مطلباً ماساً مثل الطلاق وعلاقته بمكانة الأسرة والعائلة، ومثل الاغتصاب ونظرة المجتمع إلى الضحية والجلاد على السواء أنهم مجرمون، بل نظرة المجتمع للضحية واتهامها بالإجرام تفوق نظرته إلى الجلاد، بل قد يلتمسون لجريمته الأعذار التبريرية، ليسقط المجتمع في فخ اللا شرف.

إن الأمر "يتطلب جهداً مضنياً لإقناع الرجال والنساء بأنه ينبغي ألا يُعامل الاغتصاب على أنه مصدر عار للضحية، وليست المسألة مسألة قناعة في نفس المرأة المغتصبة بأنها "من جلبت على نفسها" هذا الخزي، وإنما يرتبط الخزي الذي تشعر به بإحساسها بقلة حيلتها لكونها ضحية؛ ليس الشعور المسيطر عليها هو الشعور بالذنب لاعتقادها أنها ارتكبت خطأ ما، وإنما هو التذكير بالمذلة التي تعرضت لها، وهذه المذلة تجعلها عُرضة لأن تفقد احترام من يعلمون اغتصابها بغض النظر عن افتقار مثل هذا الموقف للعقلانية، فالواقع أن المذلة من شأنها أن تفقدها احترامها لنفسها مرة أخرى دون أدنى سبب وجيه" [47].

السبب الرئيسي – كما نرى– هو اعتبار جسد المرأة ملكية خاصة للأسرة التي تنتمي لها، ولذلك فإن؛ ما يحدث لهذا الجسد يمس شرف الجميع. ممكن تتبع جذور هذه الإشكالية إلى أقدم الأزمان؛ حيث نتذكر قوله تعالى في سورة التكوير: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾؛ إذ يقوم الأب بقتل ابنته خوفاً من تعرض جسدها لما يهين شرفه هو!

هذا، ولم تُحل تلك القضايا بعد ولم تجد حتى الآن سبيلاً لوضع حلول نهائية لها؛ مما يدفعنا إلى القول إن قضايا المرأة، العبودية والتحرير، الهوية والمصير، من القضايا التي لا تزال مسماراً في رأس كل مفكر، نعم لقد تغيرت النظرة إلى المرأة ونالت بعضاً من حقوقها على لسانها نفسها، تقول سوزان موللر:

"لقد أصبحت النساء خلال القرن الحالي رسمياً، مواطنات بالفعل في كل بلد من بلدان العالم الأوروبي، وفي كثير من بقية أنحاء العالم أيضاً (بما في ذلك العربي والإسلامي)؛ فبعد أن كن مستبعدات تماماً ومعزولات في مجال خاص هو مجال الأسرة أصبحن عضوات، لهن حقوق في عالم السياسة، غير أن النساء يعترضن على نحو متزايد بأن المكاسب السياسية والرسمية المحددة التي حصلت عليها الحركة النسائية المبكرة لم تضمن على الإطلاق بلوغهن المساواة الحقيقية في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية في حياتهن، فعلى الرغم من أن النساء الآن مواطنات، فإن الشرع الذي لا يمكن إنكاره أنهن بقين مواطنات من الدرجة الثانية إذا قيست من منظور الخصائص التي تقيم على أساسها المواطنة – تقليدياً– كالتعليم والاستقلال

الاقتصادي أو الوضع الوظيفي فلا يزلن خلف الرجال، وبالمثل إذا قيست هذه المكاسب من منظور المشاركة السياسية ولاسيما في المستويات العليا والسلطة السياسية فإنهن لم يقتربن في أي مكان من المساواة مع الرجال، وفضلاً عن ذلك فقد كانت النساء في العقود السابقة يطالبن بهذه المساواة الجوهرية وبوضع حد لإبعادهن وعزلهن في مجال المواطنة من الدرجة الثانية، فقد ادعين أن لهن الحق في أن يكن عضوات في المجتمع ومواطنات في الدولة على نفس مستوى الرجال، ولقد تم – من حيث المبدأ على الأقل – الاعتراف بهذه الدعاوى" [48].

ولكن على الرغم من ذلك، ليس هذا هو كل المطلوب ولا نصفه، فالطموح في نظرية الشرف أكبر من مواطنة الدرجة الثانية للمرأة، ولكنه طموح نحو تحقيق ما للرجال للنساء، أو بمعنى أقرب للواقعية تغيير بعض المفاهيم المتعلقة بالشرف خاصة في قضايا الاغتصاب والزنى بالإكراه أو الفاقة والطلاق والزواج من غير المتعلمين، كل هذه القضايا لابد من إعادة تقييمها بشفافية ووضوح، جنباً إلى جنب مع قضايا الرق والعبودية لنصل إلى نتيجة مرضية كمثل التي وصل الحال إليها في قضايا المبارزة وربط الأقدام.

ما المطلوب إذن؟ هذا هو التساؤل الأشد إلحاحاً على الضمير الفكري الإنساني الآن، ما السبيل إلى تغيير تلك المفاهيم الخاصة بالشرف؟ إنه ليس أكثر من إعادة صياغة قانون الشرف نفسه؛ ذلك أن "الاهتمام بقضية الشرف يمكن أن يساعد المرء في التعامل كما ينبغي مع الآخرين، وأن يستغل حياته أفضل استغلال. ويشعره بأنه قد حان الوقت لتعاد للشرف مكانته في الفلسفة؛ حيث إن الوقائع التاريخية التي يعرضها أبياه في كتابه تضرب الأمثال للسمات المختلفة للشرف عبر الأزمنة والأمكنة، وتتيح لنا فرصة استكشافها. وتساعد كل واحدة من هذه الوقائع على إضافة عنصر جديد للصورة ككل" [49].

ثالثاً- نحو ميثاق شرف جديد

بعد هذه النماذج التي ذكرها كوامي أبياه والتي نجح المفكرون بصددها في تغيير مواثيق الشرف في نموذجين وفشلوا في نموذجين آخرين، كان العنصر الأساسي في هذه الحالات كافة هو أنه لا مفر من تغيير مواثيق الشرف إذا كان لتلك الممارسات أن تختفي،

فكان لابد أن يتوقف اعتبار المبارزة أداة في يد السادة النبلاء للمطالبة بأحقيتهم بالشرف الذي يليق بمكانتهم، كما كان لابد من قناعة لدى الصينيين بأن عادة ربط الأقدام لن تؤثر سلباً أو إيجاباً على الزواج وجمال المرأة، كما كان لابد للربط بين العمل والأصول الإفريقية من ناحية وبين امتهان الشرف لعمل النبلاء من ناحية أخرى من الاندثار.

تقتضي الضرورة أيضاً تلك الصياغة الجديدة لمفهوم الشرف للقضاء على كم غير متناهٍ من جرائم جنائية تتم باسم الشرف وتحت غطائه. يمكننا إعطاء صياغة جديدة لقانون جديد للشرف مؤداه العبارة الآتية "الإنصاف في الحكم في كافة القضايا بغض النظر عن الجنس أو اللون أو النوع أو البيئة". بهذه الصياغة وحدها يمكن القول إننا – بحق– قد استطعنا إعادة صياغة لقانون الشرف؛ فالإنصاف في الحكم – بغض النظر عن الجنس– سينظر إلى المرأة المغتصبة على أنها ضحية لا مجرمة، وستجد من يتقدمون لخطبتها إذا أيد المجتمع وجهة النظر تلك، وتلحق بها جميع قضايا المرأة الأخرى، وكذا فإن الإنصاف في الحكم سينظر إلى العبيد على أنهم أنفس لهم حقوق الحياة والحرية والكرامة الإنسانية وسينظر في قضاياهم وقوانينهم بعين الإنصاف.

تلك هي الصيغة التي ارتضاها كوامي أبياه ضمنياً، عبر المواقف والنماذج التي ذكرها وإن لم يصرح بها، لكن يمكننا إقامة ميثاق شرف جديد على أسس ثلاثة، تتمثل في الآتي:

1 – الربط بين الشرف والتقدير: بداية يجب التأسيس لميثاق شرف جديد يقوم على أساس من الربط بين الشرف والتقدير، وللتقدير عدة أنواع، تقدير إيجابي لشخص قدم شيئاً أخلاقياً، وتقدير سلبي وهو لا علاقة له بالأخلاق مثل تقديرك لممثل ناجح، فتقديرك له يعكس مدى تميزه ولكنه لا يعكس أبداً أخلاقياته، وتقدير إقراري يتعلق بتقديرك لسمة معينة بارزة في الشخص، وتقدير أعلى من ذلك كله وهو الحق في التقدير الذي تكتسبه عندما تقوم بما هو أكثر مما تتطلبه الأخلاقيات، وهذا هو نوع الشرف الذي يتمتع به الأخلاقيون مثل الأم تريزا [50].

2 – الأخلاق والشرف: للقضاء على جرائم الشرف يرى أبياه ضرورة الإساءة إلى هذه الجرائم باسم الأخلاق واسم العدالة وباسم حقوق الإنسان، كما أنه من الضروري أيضاً إثبات أن تلك الجرائم هى مصدرٌ للعار وليس للشرف، فيقول "فجرائم الشرف لن تذهب بلا عودة إلا عندما ندرك كم هي منافية للشرف" [51]، وهو ما

يؤيده التقرير الصادر عن منظمة حقوق المرأة في باكستان؛ إذ أكد "ضرورة إعادة النظر في تقديرنا للشرف فيما يخص قضايا طلاق المرأة باعتباره أمراً أقرته الشريعة الإسلامية، فكيف يتعارض مع مواثيق الشرف، والشريعة أمر سماوي في حين أن مواثيق الشرف أمر عرفي وضعي"[52]، إنه عندما يلتحق الشرف بالأخلاق فإن ثمة حكماً عاماً في سبيله للصدور، فمثلاً تصبح المبارزة أمراً هزلياً ومحطاً للسخرية، ومن ثمّ مصدراً للعار، وليصبح الذين كانوا يلتمسون الشرف لهم ولبناتهم في ربط الأقدام، يستعرضون الشرف ذاته عن طريق رفضهم لتلك العادة السيئة، وليصبح الذين كانوا يلتمسون شرفهم في الإحساس بالسيادة على عبيد ضعفاء يشعرون بالفخر في رحمة قلوبهم تجاه هؤلاء الضعفاء.

3 - الالتزام بميثاق الشرف: يرى أبياه ضرورة الالتزام بميثاق الشرف من قبل الجميع، فيقول: "فمن الممكن أن تفقد هذا الشرف إذا ما عجزت عن الالتزام بميثاقه، فإذا التزمت بميثاق للشرف فإنك ستبُدي الاحترام لمن يلتزم به كما ستظهر الامتعاض لمن لا يلتزم به، وبالتالي إذا التزمت أنت نفسك بمعايير هذا الميثاق فسيحظى باحترام الذات، أما إذا عجزت عن الوفاء بهذه المعايير فستُكن لنفسك كل الاحتفاء الذي هو مرادف الخزي، وإذا لم يشعر شخص ما بالخزي عندما يفشل (أو على الأقل عندما يُمنى بفشل ذريع) فهذا دليل على أنه لم يكن يلتزم نفسه بالميثاق وهنا نقول إنه عديم الحياء" [53].

إذن، يقوم الشرف عبر مراحل ثلاث، الربط بين الشرف والتقدير، ثم بينه وبين الأخلاق، ثم ضرورة التزام الجميع بميثاق الشرف، وفي هذه الحالة فقط يمكننا القول إننا نجحنا في إعادة صياغة ميثاق الشرف، الذي ارتآه الرجل حلاً لجميع المشكلات، إنه يعد رقيباً على كل شخص بدلاً من رقابة فعلية عبر واسطات آلية ككاميرات مراقبة أو غيرها من الوسائل الحديثة، وهذا يوفر تكلفة مادية لا حصر لها ولا حدَّ، كما سيوفر أعباء نفسية وأخلاقية تقع على كاهل المراقبين [54]، كما أنه يقدم حلولاً ناجحة في الرقابة الداخلية البينذاتية لكل فرد على حدة، خاصة في المهن التي يصعب فيها الرقابة والتي تقوم على الضمير بالأساس، كالمعلم والطبيب، على سبيل المثال.

إجمالاً يجعل كوامي أبياه من ميثاق الشرف الجديد حلاً لجميع المشكلات العالمية والمحلية، الصغيرة والكبيرة، إذ يقول: "يعطي الشرف – في صورة الكرامة الفردية – زخماً للحركة العالمية لحقوق الإنسان، كما يمنح، في صورة التقدير الفردي المستحق، الفرصة للمجتمعات الكبيرة منها والصغيرة لإثابة المتميزين وتشجيعهم؛ أما في صورة الشرف القومي، بما لديه من إمكانات بفعل الفخر وما يمثله من تهديد بفعل الخزي، فمن شأنه أن يُحفّز المواطنين في كفاحهم الأبدي لفرض الانضباط على أفعال حكوماتهم. أضف إلى كل ما سبق الطرق التي يستطيع الشرف أن يسلكها لخدمتنا في المهن المختلفة" [55].

تلك هي ملامح الصياغة الحديثة لنظرية الشرف، وأهميتها في الحفاظ على التراث الإنساني والقيم الإنسانية.

رابعاً- نقد لنظرية الشرف

تبدو قضية الشرف مرتبطة ارتباطاً كلياً بالجانب الأعم عنده وهو الجانب الكوزموبوليتاني، وهو القائم على التمسك بالتنوع والتعدد، ومن ثم وجدنا أبياه يقول :"إذاً، كيف علينا ردم الهوّة هنا؟ كيف استطعنا أن نقنع أنفسنا أننا الورثة الشرعيّون لأفلاطون، والأكويني، وكانط، في حين أنّ وجودنا المعيش يتعلّق بـ بيونسي وبرجر كينغ أكثر من تعلّقه بهذه الأشياء؟ لقد حصل ذلك بدمج الصورة التايلوريّة مع الأرنولديّة؛ أي بدمج العالم اليوميّ بعالم المُثُل. وقد كان المفتاح لهذا الدمج حاضراً في عمل تايلور نفسه. لنتذكّر تعريفه الشهير: إنّه يبدأ بالثقافة باعتباره (الكلّ المركّب). إنّ ما تُفصح عنه هذه العبارة هو ما نُطلق عليه النظريّة العضويّة organic theory. رؤية الثقافة لا باعتبارها تجمّعاً فضفاضاً لمجموعة من الشظايا المتفرّقة، وإنّما باعتبارها وحدة عضويّة"[56].

فوحدة الثقافة تعني وحدة المبادئ الأخلاقية والقيم الإنسانية، وهي التي يعني التمسك بها الاحترام بمظهريه الجواني والبراني؛ الجواني بمعنى احترام الإنسان لذاته، والبراني بمعنى احترامه للآخرين، ولن يكون ذلك إلا بالإيمان بالتنوع والتعدد . ومن ثم فإن هناك علاقة واضحة بين الشرف والكوزموبوليتانية . فالاثنان معاً يقودان إلى ما أسماه أبياه النظرية العضوية، وهي التي "يقوم فيها كلّ مكوّن، كما في الأجسام العضويّة، بالتكيّف

في موقع معيّن، ومن ثمّ فإنّ كلّ مكوّن هو أساسي وضروريّ ليتمكّن الكلّ من أداء وظيفته. وإذاً، فإنّ كلّاً من مسابقة يوروفيجن للأغاني، وقواطع ماتيس، ومحاورات أفلاطون، كلّها جزء من كلّ مركّب أكبر. هكذا، يصبح كلّ هذا حاضراً في مكتبتك الثقافيّة، إن جاز التعبير، حتى لو لم تكن، كفرد، قد اطلعت عليه؛ فهو تراثك وملكك. إنّ النظريّة العضويّة، ببساطة، تشرح لنا كيف أنّ حياتنا اليوميّة ممسوحة بغبار السبيكة الذهبيّة" (57).

في الأزمان الخوالي وصف الأنبياء الذين جاؤوا بالأديان رؤيا ذات طبيعة خلابة وجمال، وزادوا في وصفها إلى حد بهروا به خيال الرجال وملكوا مشاعرهم منذ ذلك الحين، فقد صوروا "عصراً ذهبياً لا كما زعم الوثنيون أنه مخبوء في غيابات الماضي البعيد، وإنما على أنه منتظر في مستقبل الأيام، عصراً يسوده السلام ويكف الناس فيه من محاربة الواحد منهم الآخر، وينعم كل منهم فيه بالعيش في أمن وطمأنينة في ظلال كرمته أو شجرة تينه، ومن ثمّ لا يكون محتاجاً إلى أية تنظيمات لتوجيهه؛ لأن قلوبهم وضمائر ودخائل نفوسهم سوف تهديهم دائماً إلى الحق والعدل، وأنه حين يأتي هذا اليوم فلن يكون ثمة حاجة إلى الحكومات والموظفين ولا إلى العقوبات والقوانين؛ ذلك أن الناس سوف يكونون مراراً يتبعون صوت دوافعهم الخيّرة ويسيرون على هديها" (58).

هذه رؤية يوتوبية دائمة بالفعل عند الكثيرين، لكنها من وجهة نظر البعض ليست يوتوبية؛ لأن النفس الإنسانية جبلت على السلام وخطرت على حب الأمن، كما حلمت بعالم يخلو من الحروب ويسوده السلام لميثاق الشرف حيث تعدد أنواع العقبات.

لقد حاول أبياه أن يستشرف بعض التغييرات التي علقت بمفهوم الشرف خاصة عند من يتكئون على الشرف لممارسة عملية قتل النساء في أماكن كثيرة من العالم، واختص بالذكر باكستان، حتى مع تغيير مثل هذه الممارسات فإنه كان مؤمناً بأن الثورات الاجتماعية لم تكن نتيجة تغيير حصل للمعتقد الأخلاقي بقدر ما كان ثورة ممارسات، كان الشرف فيها له الدور المركزي. ومن ثم كان يؤكد أن الأسانيد والحجج الأخلاقية لم تكن هي الشيء الجديد، وإنما الشيء الجديد ينحصر في الرغبة الأكيدة في الانصياع لهذه الحجج وتلك الأسانيد.

ولعل من أكبر الأزمات التي يواجهها ميثاق الشرف أزمتين كبيرتين، تتمثل الأولى

في "المطلق" الذي جاء من خلاله ميثاق الشرف، وتتمثل الثانية في الطبيعة البشرية التي لا تقبل هذا المطلق، بل تتعامل مع النسبيات وتتأرجح ما بين القبول تارة والرفض تارة أخرى، وهذا يرجع إلى طبيعتها.

إن السؤال الذي حاول الفكر البشري على مدار تاريخه الإجابة عنه تمثلت صيغته في ما يأتي "الطبيعة البشرية ليست أحد الاثنين ولكنها الاثنان معاً، فلا يوجد من بين البشر من هو ملاك بنسبة 100%، كما لا يوجد من هو شرير بنسبة 100%، ولكن يوجد من يغلب خيره شره، والعكس، فهي مزيج من الاثنين، هي بحاجة إلى الماديات والأدبيات معاً [59]، أما قانون الشرف فهو يبحث عن الأدبيات في حين ينحي الماديات جانباً.

وعليه يؤكد أبياه أن العنصر الأساسي في هذه الحالات التي ذكرها في قضية الشرف كافة هو أنه "كان لا مفر من تغيير مواثيق الشرف إذا كان لتلك الممارسات أن تختفي. أما السمة الثانية المشتركة فهي أن ميثاق الشرف قد واجهته تحديات أخلاقية ودينية قبل اندلاع الثورة بكثير، وأخيراً تجتمع الحالات الثلاث كلها في أنه مع نهاية الثورة، كان الشرف قد جُنِّد بنجاح لينضمّ إلى الأخلاق" [60] .

إن هذه الرؤية لنظرية الشرف لا تخلو من المثالية، وتالياً يمكننا توجيه النقد له في عدة نقاط قريبة يمكن صياغتها على النحو الآتي:

1 – يُعد الشرف إحدى ثمرات القانون الطبيعي، ولكي يُطبق فإنه بحاجة إلى قانون ولكن كوامي أبياه جعله قانوناً أخلاقياً يتوقف على ضمير كل شخص ممارس للشرف؛ مما يمنحه الصفة المعيارية من ناحية، والصفة المثالية من ناحية أخرى. لنعترف بأن القوانين غير المكتوبة مثل الصدق والشرف ليس لها وجود فعلي محسوس، وهكذا فإن عملية إقناع من أخطأ في ممارستها بخطئه، ومن هنا فنحن في حاجة ماسة لقاض محايد تماماً كما أشار جون لوك.

بمعنى آخر، لقد وجدنا الشرف مع أبياه بوصفه المحرض الحقيقي لمثل هذه الممارسات اللاأخلاقية، فكيف بإمكانه – إذن – أن يكون العامل الأهم في ردعها؟ المشكلة في ذلك كله أن ما يتطلبه الشرف اليوم قد يشجبه غداً!

2 – أقل ما يقال عن ميثاق الشرف، صعوبة التعامل مع نفس بشرية تتحقق بالمادة ولا تسمو إلى أية مثاليات، من ذلك ما قاله هوبز: "ذلك لأن القوانين الطبيعية (كالعدالة، والحلم، والتواضع، والرحمة أو بالاختصار أن تفعل بالغير ما تريد أن يفعله الغير بك) وحدها، وبمعزل عن الخوف من قوة معينة تكره الناس على طاعتها، تلك القوانين تتضارب مع الغرائز والعواطف الطبيعية للإنسان – الغرائز والعواطف التي تحملنا على التحيز، التعجرف، الثأر وما شابه، **والعقود بدون السيف ليست سوى كلمات فحسب**، كلمات لا تملك القوة لحماية إنسان. لذلك، ومع احترامنا **للقوانين الطبيعية التي يحفظها الإنسان عندما يريد** وعندما لا تتضارب مع سلامته، وإذا لم تقم قوة كبيرة تضمن سلامتنا، يحق لكل منا أن يعتمد على قوته وعلى فنه تحفظاً ضد جميع ما يمكن أن يقوم به الآخرون ضده" [61].

3 – لعل أهم تناقض وقع فيه أبياه هو اعتباره أن الجيوش النظامية أحدثت نوعاً من الشرف على الرغم من رفضه للمبارزة في بداية الأمر، وهو أمر غاية في التناقض؛ إذ إن المبارزة والحرب ينبعان من معين واحد، نعم هناك فارق بين الاثنين، ولكنه فارق كمي وليس نوعياً، مع عظمة شرف الجندية والدفاع عن الوطن إلا أن الخلاص من الشرور البشرية والأطماع أكثر منه شرفاً. مع الأخذ في الاعتبار أن النفس البشرية يشملها النقص والأنانية وقوى بعض من الصفات الشريرة، في حين أن ميثاق الشرف يحمل الواجب كواجب، العطاء للعطاء، الشرف لذات الشرف، وهو ما يتعارض والطبيعة الإنسانية التي تمزج بين الخير والشر.

4 – لا يمكننا أن نناقش موضوع الشرف دون أن نتساءل حول مسألة ربما أخذها أبياه كمسلمة، وهي هل يعتبر الشرف قيمة أخلاقية كالعدالة مثلاً؟ لنتفق جدلاً على المفهوم التقليدي للعدالة؛ بمعنى: أن نعطي كل شخص ما يستحقه. إن اتفقنا جدلاً على صحة هذا التعريف فإن الخلاف، عملياً، كما يظهر في المجتمع، لا يكون حول المفهوم نفسه ولكن حول من ينطبق عليه مفهوم "شخص" في تعريف العدالة السابق. فنجد مثلاً على مر التاريخ أن العبيد والنساء لم يدخلوا ضمن نطاق الأشخاص الذين ينطبق عليهم مفهوم العدالة. العدالة يستحقها "المواطن الكامل"،

والعبيد والنساء لم ينظر لهما كمستحقين لهذه المواطنة الكاملة، فقد كانوا أقل مرتبة. ما حدث لاحقاً ومع تغير الظروف السياسية والاجتماعية وبروز الأصوات المطالبة بحقوق الإنسان صار هذا المفهوم للعدالة يطبق على الجميع. الوضع يختلف عندما نأتي لموضوع الشرف؛ إذ إن ما يعتبر مشرفاً للرجل في ثقافة ما قد يعتبر عاراً له في ثقافة أخرى. فالشرف بالمفهوم هذا مرتبط بثقافات معينة. وإذا ما أردنا أن نضع توصيفاً لما يجعل الإنسان شريفاً في العصر الراهن فلن نستثني إنساناً بسبب الجنس أو اللون وسنختار مجموعة من القيم الأخلاقية التي لو تميز بها الشخص لقلنا عنه إنه شريف، هذه القيم عالمية تنطبق على كل أعضاء الجنس البشري دون استثناء.

5 – رغبة أبياه بصياغة مفهوم جديد للشرف يتفق عليه الجميع تجرنا لفكرة أخرى، هي هل نحن بحاجة أصلاً لفكرة الشرف؟ ففي عام 1948 صدر الإعلان العالمي لحقوق الإنسان بثلاثين مادة تحاكي جميع الأمثلة التي أوردها أبياه وتقدم تصوراً عامّاً تنضوي تحته البشرية جمعاء. ربما هناك اختلاف حول الإلزام القانوني للدول الأعضاء بالأمم المتحدة بهذا الإعلان، ولكن ما يهمنا هنا هو أن الأمم المتحدة بهذا الإعلان قد وضعت خطوطاً عامة لما نطلق عليه عاراً وهو استعباد الناس، والتمييز على أساس اللون أو الجنس أو الأصل أو الدين، والتمييز ضد المرأة، وتعريض السلامة الشخصية للخطر مثل ما كان يمارس مع أقدام الصغيرات بالصين سابقاً، والتعذيب، والتعسف بل حتى المساواة بالحقوق في معاملات الزواج وغيرها من الأمور التي تتعلق بكرامة الإنسان وحريته وحقوقه. لو طبقت الدول هذا الإعلان والتزمت به وعملت على تغييرمفاهيم الشعوب حول الشرف والعار لربما شهدنا تطوراً في قضايا الشرف حول العالم.

يذكر أبياه في كتابه أن الصينيين لم يوقفوا هذه العادة المؤلمة لأقدام الصغيرات إلا بعد أن شعروا بالإحراج أمام العالم؛ إذ كان السياح الأجانب يصورون أقدام الفتيات وينشرون الصور مع استهجان لهذه العادة، وهو الأمر الذي شجع الصينيين على التلاحم للقضاء عليها؛ لأنهم شعروا بالإحراج. الضغط العالمي إذن له أثر كبير، و دور الإعلام في نشر الممارسات الشنيعة كقتل الشرف أو غيرها يؤثر في تغيير

الرأي العام مما يسهم في تقليل هذه الممارسات ومن ثم تصحيح مفهوم الشرف. فما الشرف؟ إذا لم يكن مرتبطاً بجسد المرأة ولا بالمبارزة ولا بصغر حجم أقدام الفتيات الصينيات، فما الشرف؟ يبدو أن مفهوم الشرف – كما – أشرنا سابقاً – مرتبط بثقافة معينة، وتغيير هذه الثقافة سيغير مفهوم الشرف. لكننا هنا في القرن الحادي والعشرين نجد أنفسنا أمام عولمة تجتاح البشرية على كل المستويات، والإعلان العالمي لحقوق الإنسان يوحد البشر ويساوي بينهم ويصون حرياتهم وحقوقهم لو كانت الدول جادة بتطبيق مواده.

خاتمة

مما سبق دراسته يتبين لنا أن قضية ميثاق الشرف في معناها القديم كانت بحاجة فعلية وماسة إلى صياغة جديدة، لكن حتى الصياغة الجديدة التي ناضل لأجلها كوامي أبياه جاءت منقوصة لافتقارها إلى الآليات وتركيزها فقط على الجانب الإنساني من النفس البشرية، وهذا وإن كان يبدو حسناً باعتبار مخاطبة أسمى ما في النفس وتجنيد ما بها من شرف ورجولة، فإنه يُعد أيضاً عواراً في الفكر الإنساني باعتبار جمع النفس البشرية بين التوعية الملائكية والحيوانية، ومن ثمّ ضرورة صياغة كل ما يمسها ارتكازاً على هذا الاعتبار.

نعم، لقد قدمت لنا تلك الرؤية جديداً فيما يخص الشرف، وبعثت قضايا قد خلفها الزمن منذ فترة ليست بالوجيزة ليعيد تسليط الضوء عليها والاهتمام بها من جديد، بل ليفتح حولها نقاشاً لم تعتده الأوساط الفلسفية، وعلى الرغم مما بها من عوار فإنها نظرية تمثل المعاني الإنسانية في قمتها وتجسدها في نبلها وشرفها. وبعد هذه الدراسة يمكننا استخلاص النتائج التالية :

1 – كانت الصياغة القديمة لمفهوم الشرف والنظرة إلى قضاياه مبعثاً قوياً لإعادة النظر في كل ما يتعلق بتلك الأمور.

2 – يرتبط الشرف بالهوية قديماً، لكن في الميثاق الجديد لا تُعد الهوية قيمة تذكر؛ نظراً لعمومية الميثاق وشموليته وتجريده.

3 – ميثاق الشرف أحد روافد قانون الأخلاق والفضائل، كما أنه أحد روافد القانون الطبيعي.

4 - النماذج التي تناولها كوامي أبياه بحثاً عن تعديل لقانون الشرف جاءت معبرة إلى درجة كبيرة عن أغلوطات الفكر البشري من ناحية وعن عقلانيته من ناحية أخرى.

5 - تُمثل الصيغة الجديدة لميثاق الشرف أسمى ما في النفس الإنسانية وأعظم جوانبها؛ لأنها تخاطب العاقل، الجانب الأسمى، وهو ما نتطلع إليه بحق، لكن عبرآليات محددة قد يصوغها البعض في نظرية أكثر شمولية في المستقبل.

6 - لا يُعد نقد نظرية الشرف نقداً في البنية أو الذات أو الموضوع، بل هو مجرد نقد لغايات الآلية لا أكثر.

7 - في الماضي القريب كان شكل العبيد المكبلين والعراة الذين يباعون في الأسواق في كثير من بقاع العالم أمرا طبيعياً ومنظراً مألوفاً للجنس البشري، إلا أن الاعتراضات على هذا الأمر، التي كعادتها تبدأ دوماً ضعيفة وبصوت منخفض، سرعان ما صارت هي الأساس وهي مقياس الحق، وصار العالم أجمع يرى في استعباد الإنسان أمراً مستنكراً بل جرماً لا يغتفر.

الشرف -إذن- يتغير مع تغير الزمان والأحوال، بل إن ما يعتبر شرفاً في بلاد ما قد يكون عاراً في أخرى. كذلك فالشرف ليس شيئاً مقدساً ومنزلاً من السماء، فهو خاضع كبقية المفاهيم الإنسانية، إلى إعادة التقييم وإعادة التعريف، بل إننا قد نكتشف ذات يوم أن البشرية لا تحتاج لمثل هذا المصطلح؛ لأنه إذا اتفق الجميع على تعريف وتوصيف للشرف فإن فقدان الشرف لن يكون سوى ارتكاب جريمة، وهذا أمر تغطيه القوانين في الدول المتحضرة، وعندها تنتفي الحاجة لمصطلحات كالشرف والعار.

ما يدور في أذهاننا هو الآتي: في بداية بحثنا عرفنا الشرف بالسمو والمكانة وعلو المقام وما يرتبط بهذه المفردات من مفاهيم. إلا أن تعريفاً كهذا يحتاج إلى شرح للمقصود بعلو المكانة والسمو؛ أفيقصد به العائلة التي ولدت بها؟ أم يقصد بعلو المكانة التزام الإنسان بالقيم الأخلاقية مما يعلي من مكانته في المجتمع؟ هذا في رأينا هو التصور الأقرب لما يدعو إليه أبياه. و إذا كان ذلك كذلك فإن مصطلح الشرف يعتبر تحصيل حاصل لشخص نسميه في مصطلحاتنا الحديثة: أخلاقياً.

هدفنا أن نصل إلى تعريف للشرف يغطي الجميع: المرأة والرجل، الأسود والأبيض، الأعراق جميعها . بل تعريف يضمن لنا، ونحن الآن في بدايات القرن الحادي والعشرين، أن ما نسميه شريفاً هو ذلك الذي يحترم البيئة ولا يدمرها، وينظر للمرأة تماماً كما ينظر للرجل، حيث جسدها ملك لها وليس للعائلة. وأن لا نطلق مصطلح شريف لمن يهين زوجته أو يعذب أو يحرم طفله أو يسيء إلى الحيوانات. في زمننا هذا لم تعد أمور الشرف تتمثل في العبودية والمبارزة فقط، بل الشرف هو أن تكون أخلاقياً تجاه كل ما ذكرناه، عندذاك فقط نسمّيك شريفاً.

الهوامش والمراجع

(1) أبياه، كوامي أنطوني : **ميثاق الشرف: كيف تحدث الثورات الأخلاقية**، ترجمة: رضوى محمد قطيط، مراجعة :هاني فتحي سليمان، ط 1، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، سنة 2014م، ص174.

(2) الفيروز، أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: **القاموس المحيط**، ص201.

(3) - Cook, John Webber : **Morality and Cultural Differences**, New York: Oxford University Press,1999, P. 218 .

(4) ميثاق الشرف، ص69.

(5) - Smith, Adam: "Lectures on Jurisprudence", ed.: R. L. Meek, O. D. Raphael, and P. G. Stein, Vol. 5 of the **Glasgow Edition of the Works and Correspondence of Adam Smith**, Indianapolis: liberty Fund, 1982, P. 176.

(6) نقلاً عن : قربان، ملحم : **القانون الطبيعي**، بيروت:المؤسسة الجامعية للنشر، 1982م، ص51 وما بعدها.

(7) ميثاق الشرف، ص19.

(8) أيوب، مهيار: "كيف تحدث الثورات الأخلاقية عبر التاريخ – ميثاق الشرف للأمريكي كوامي أنطوني أبياه"، **مجلة الجديد**، العدد 21، أكتوبر 2016، ص 148.

(9) كوامي ،أنطوني أبياه: "لا يوجد شيء يدعى الحضارة الغربية"، **الغارديان**، تاريخ النشر : 2017/2/11، ترجمة خاصة: عرب 48، أسامة غاوجي، وهي نسخة معدلة من محاضرة كوامي أبياه في محاضرات ريث التي تبثها بي بي سي، وهي الجزء الرابع من سلسلة "الهويات الخاطئة".https: / /www.arab48.com، رفع من الإنترنت بتاريخ 2017/11/9.

(10) الخضيري، زينب إبراهيم:"كوزموبوليتاني"، **جريدة الرياض**، http: / /www.alriyadh.com /1128214، رفع من الإنترنت بتاريخ 2017/10/13 .

(11) وهبة، مراد: **المعجم الفلسفي**، القاهرة: دار قباء للطباعة 1998م، ص18.

(12) ميثاق الشرف، ص70. وهو المعنى نفسه الذي ذهب إليه جون لوك أيضاً؛ حيث قال : "تنبعث المواثيق العامة للشرف من ثياب اجتماعية أشربت بها قيماً معينة وتأثرت بها النظرة إلى قوانين الشرف، ليصبح المرء الشريف في مجتمع نتيجة لسلوك معين، وضيع في مجتمع آخر نتيجة لعين السلوك، ومجرم في مجتمع ثالث نتيجة لنفس السلوك، بما يعني أن الخلفية الاجتماعية تؤثر على قرار الشرف ما بين شريف ووضيع ومجرم".

Morality and Cultural Difference , p. 226.

(13) حسين،هيثم :"الثورات الأخلاقية: كيف يتأسس ميثاق الشرف؟"، **مجلة العرب**، لندن: العدد 10426، بتاريخ 2016/10/16، ص13.

(14) "الثورات الأخلاقية: كيف يتأسس ميثاق الشرف؟"، ص 13.

(15) ميثاق الشرف، ص 147.

(16) أرسطو : **السياسة**، تعريب: أحمد لطفي السيد، القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، 1947، ك1، ب2 ،ص7.

(17) ليمان، أوليفر: **مستقبل الفلسفة في القرن الواحد والعشرين**، ترجمة :مصطفى محمود محمد، مراجعة: د. رمضان بسطاويسي، الكويت: سلسلة عالم المعرفة، سنة 2004، ص85.

(18) "الثورات الأخلاقية: كيف يتأسس ميثاق الشرف"، ص 13.

(19) "كيف تحدث الثورات الأخلاقية عبر التاريخ-ميثاق الشرف للأمريكي كوامي أنطوني أبياه"، ص148.

(20) مستقبل الفلسفة في القران الواحد والعشرين، ص109.

(21) باركر، إرنست: **النظرية السياسية عند اليونان**، ترجمة : لويس إسكندر، مراجعة : د. محمد سليم سالم، ج1، القاهرة: مؤسسة سجل العرب، 1966م، ص276.

(22) القانون الطبيعي ، ص69.

(23) - Cicero: **Laws**, Translated by: Niall Rudd, New York: Oxford University, 1998, B.25. p. 96.

(24) إبراهيم، زكريا : المشكلة الخلقية، سلسلة مشكلات فلسفية،ط2، القاهرة: مكتبة مصر، سنة1915م، ص185.

(25) كانط : **نقد العقل الخالص**، ترجمة: موسى وهبة، بيروت :مركز الإنماء القومي، سنة 1998م، ص291.

(26) - Kant: **Lectures on Philosophical Theology**,p.40.

(27) - Kant: **Religion Within the Boundary of Pure Reason**,Trans. By: J. W. Semple, Toronto: University of Toronto library,1950,p.203.

(28) بوترو، إميل: **فلسفة كانط**، ترجمة : عثمان أمين، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1972م، ص383.

(29) دريدا، جاك : "إيمان ومعرفة منبع الدين في حدود العقل وحده" مقال ضمن كتاب **الدين في عالمنا**، ترجمة: حسن العمراني، ط1،الدار البيضاء : دار توبقال للنشر،، سنة 2004، ص18-17.

(30) إبراهيم، أيت إبراهيم: **الثورات الأخلاقية في غياب الإنسانية**، في الموقع الإلكتروني http: / /www.dades-infos.com /?p=31534، رفع من الانترنت بتاريخ 2017/10/1

(31) ميثاق الشرف، ص60.

(32) - Cobden, Richard: **Speeches on Questions of Public Policy**, London: Macmillan & Co,1978,p. 665.

(33) ميثاق الشرف، ص70.

(34) ميثاق الشرف، ص63.

(35) وهي نظرة تتفق مع الشريعة الإسلامية باعتبار الدفاع عن الوطن والعرض شرفاً للمؤمنين، وقد أشار إليها القرآن الكريم في العديد من الآيات مثل قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾، وجعل القرآن من مات دون الدين والوطن شهيداً حياً يرزق عند ربه.

(36) ميثاق الشرف، ص99.

(37) أفلاطون: **محاورة القوانين**، ترجمة: محمد حسن ظاظا، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة 1986، ص203.

(38) محاورة القوانين، ص423.

(39) نقلاً عن ميثاق الشرف، ص112.

(40) - Darwin, Erasmus: **The Loves of the Plants,** London, 1994,p.137

(41) - Jafri,Amir H.: **Honour Killing: Dilemma, Ritual, Understanding**, Karatch; Oxford: Oxford University Press, 2008, p.67.

(42) - Lecky, William Edward Hartpole : **History of European Morals**, London: Harvard University Press, 1996, Vol. I, Ch. I. p.116.

(43) أوكين، سوزان مولر: **النساء في الفكر السياسي الغربي**، ترجمة: د. إمام عبد الفتاح إمام، القاهرة: المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، 2005م، ص3 وما بعدها.

(44) النساء في الفكر السياسي الغربي، ص 17.

(45) ميثاق الشرف، ص149.

(46) ميثاق الشرف، ص150.

(47) ميثاق الشرف، ص 134.

(48) النساء في الفكر السياسي الغربي، ص13 وما بعدها.

(49) "كيف تحدث الثورات الأخلاقية عبر التاريخ، ميثاق الشرف للأمريكي كوامي أنطوني أبياه"، ص148.

(50) انظر هذه الفكرة بتوسع أكبر في ميثاق الشرف، ص152.

(51) ميثاق الشرف، ص155.

(52) - **Pakistan: Honour Killing of Girls and Women**, Amnesty International Report, September, 1999, p.153, https://www.amnesty.org/en/documents/pol10/0001/1999 رفع من الإنترنت بتاريخ 2017/9/11.

(53) ميثاق الشرف، ص172.

(54) ميثاق الشرف، ص172.

(55) ميثاق الشرف، ص174 وما بعدها.

(56) لا يوجد شيء يُدعى الحضارة الغربيّة، ص 21.

(57) لا يوجد شيء يدعى الحضارة الغربية، ص21.

(58) كان، إدموند : **الإنسان والديموقراطية**، ترجمة : مصطفى حبيب، القاهرة: مؤسسة سجل العرب د.ت، ص235.

(59) ممدوح، محمد : **فلسفة القانون بين أفلاطون وشيشرون**، المنصورة: المكتبة العصرية للطباعة، سنة 2015م، ص206.

(60) "كيف تحدث الثورات الأخلاقية عبر التاريخ، ميثاق الشرف للأمريكي كوامي أنطوني أبياه"، ص148.

(61) القانون الطبيعي، ص56.

مجلة العلوم الاجتماعية

تأسست عام ١٩٧٣م. فصلية. محكّمة. تصدر عن مجلس النشر العلمي. جامعة الكويت
تعنى بنشر الأبحاث والدراسات في تخصصات السياسة والاجتماع والخدمة الاجتماعية
وعلم النفس والأنروبولوجيا والجغرافيا وعلوم المكتبات والمعلومات والأعلام

رئيس التحرير:
د. مها مشاري السجاري

تفتح أبوابها أمام

- أوسع مشاركة للباحثين العرب في مجال العلوم الاجتماعية لنشر البحوث الأصيلة والاسهام في معالجة قضايا مجتمعهم
- ترحب بالدراسات المقارنة وتشجع على التكامل بين مختلف تخصصات العلوم الاجتماعية
- عرض مراجعات الكتب والتقارير وملخصات رسائل ماجستير والدكتوراه
- تتوفر نصوص البحوث كاملة لدى EBSCO PUBLISHING و دار المنظومة www.mandumah.com

توجه جميع المراسلات إلى:
رئيس تحرير مجلة العلوم الاجتماعية
جامعة الكويت
ص. ب: 27780 الصفاة، 13055 الكويت
تلفون: 00965 24810436
فاكس: 24836026
jss@ku.edu.kw
E-mail jsskuwait@gmail.com

الاشتراكات

	الكويت والدول العربية	الدول الأجنبية
أفراد	٣ دنانير سنوياً في الكويت ٤ دنانير في الدول العربية	١٥ دولاراً
مؤسسات	١٥ ديناراً في السنة ٢٥ ديناراً لمدة سنتين	٦٠ دولاراً في السنة ١١٠ دولارات لسنتين

تدفع اشتراكات الأفراد مقدماً نقداً أو بشيك باسم جامعة الكويت أو بتحويل مصرفي لحساب جامعة الكويت رقم ٠٤٢١٠٢٦٠٨ لدى البنك المركزي في الكويت.

IBN / KW 21CBKU 00000000000000004202608

Visit our Website: apc. kuniv.edu.kw/jss

حساب المجلة بالاستغرام: @jsskuwait

حساب المجلة بالتويتر: @jsskuwait1